الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: الحضارة العربية الإسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا

" شمس العرب تسطع على الغرب "

- زيغريد هونكه أُنموذجا -

إعداد الطالبة:

سميرة خروبي

تحت إشراف الأستاذة:

د. نورية شيخي

السنة الجامعية:

1435-1434هـ/ 2014-2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة سبأ، الآية 28).

إهداء

كلمات لسان

بسمات إلى كلّ عنوان

أزهار بكلّ الألوان

مهداة إلى- أبي وأمّي

إخوتي خاصة محمد أشرف

أساتذتي وأصدقائي

إلى الجميع

إلى من تعلّمت منهم معنى الوفاء

والإخلاص والتعلم والإفادة

وإلى من أفتري بهم لأصل الرّيادة

علّموني...

وجهوني ...

ساعدوني ... أخذت من وقتهم والزيادة

إلى الجميع أهدي ثمرة جهدي

وبهم أفتخر أفخر

الطالبة همرة.

شكر اعتراف

وامتنان

فالجميل والفضل لا يقبلان النكران

خاصة لمن كان

لي... سندا متينا

ودعما رصينا

أعانني على تجاوز الجسور

وأخذ بيدي نحو العبور

ولم يسأم يوما كثرة الترداد

بل قام بإصلاح الفاسد

وردّ الشارد...

أبعد كل هذا أتنكر؟

لا. أستاذتي: نورية شيخي

عفوا...

تقبلي تشكراتي الوافية

وعباراتي الصادقة الصافية

فالحمد لله الذي لم يخلق النّاس جميعا حرصا

وإنما جعل منهم الأجواد الأسخياء.

طالبتك/سميرة خروبي

إنّ التراث الفكري الثّقافي لا يزال بعيدا عن العالميّة فهو في حاجة ماسّة إلى أقلام تعزّز بناءه، وعقول نيّرة تعيد مجده، وإرادة قويّة تقوّي شكوته وهذا كلّه لن يتحقّق إلّا بالشجاعة الأدبيّة والإقدام وتكسير الطّابوهات وتخطّي الحواجز.

وذلك بفضل الأقلام المبدعة الباحثة الكاشفة للحقائق أم على الأقل أقلام تشعل الفتيل وتوقظ الضمير، تخرج الموضوع أو الإشكال للنّقاش والجدال والدراسة ونحن بدورنا انطلقنا في بحثنا من منطلق حضاري إنساني ونيّة صادقة رغبة منّا في تعرية موضوع مهم له امتدادات متجذرة في تاريخ أمتنا العربية الّذي كان حافلاً، متميزاً عن غيره بالحركيّة والتّفاعلات.

جاء اختيارنا للموضوع بدافع الغيرة عن الحضارة العربيّة الإسلاميّة من جهة، وبحكم انتمائنا لها من جهة أخرى، فوجدنا لهذا الاختيار تعزيزا وتشجيعا من الأستاذة المشرفة، زرع فينا الإقدام والشجاعة الأدبية ليكون موضوع بحثنا بالطرح التالي: أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا - شمس العرب تسطع على الغرب زيغريد هونكه - أنموذجا والّذي عالجنا فيه الإشكالية الآتية:

- ماهية الحضارة العربية وما هي المجالات التّي برزت فيها؟

- هل أعطت زيغريد هونكه الحضارة العربية حقّها من الإنصاف؟

وبما أنّ عنوان بحثنا يحمل في طيّاته الكثير من الخبايا والدسائس والسرائر، ويجذبنا بخيوط رفيعة إلى ماضينا يذكرنا بأسلافنا، فيصعب علينا الإلمام به، ومحاصرة عناصره المتشعبة، كان علينا أن نستنجد بذوي الخبرة والكفاءة، من أمثال الأستاذة الفاضلة الّتي كانت لها بصمة واضحة في تصميم خطاطة عملنا. التّي تمحورت فيمايلي:

مقدمة ومدخل حول الاستشراق، متبوعا بفصلين، الأول تمت فيه معالجة الحضارة العربيّة الإسلاميّة وتأثيرها، كعنوان للمباحث الثلاثة، تعريف الحضارة العربيّة الإسلاميّة، تاريخها ومجالات ازدهارها، تأثر الغرب بها ونقلها. أمّا الفصل الثاني الخاصّ بدراسة كتاب شمس

العرب تسطع على الغرب، تناولنا فيه التعريف بصاحبة التأليف، دراسة الكتاب من حيث المضمون، وذكر اعترافات ووقائع لبعض المنصفين، ولتأتي خاتمة المذكرة عبارة عن حوصلة أبرزنا فيها نتائج البحث، وبخصوص محتوى الموضوع فقد استقيناه من مجموعة من المصادر والمراجع، والموسوعات.. وأهم ما اعتمدنا عليه في عملنا هو:

- كتاب زيغريد هونكه شمس العرب تسطع على الغرب كمرجع أساسي، إضافة إلى المصادر الّتي وردت في القائمة.

ولا ننكر أنّنا واجهنا عدّة مصاعب ومتاعب رغم وفرة الكتب وزخم المعلومات والبيانات، نظرا لنقص خبرتنا والّذي كان عائقا وكاد أن يعصف ببحثنا لولا الإرشاد والتّوجيه.

لقد اتبعنا في بحثنا المنهج الوصفي التحليلي، المعمول به في هذا النوع من البحوثّ، مما سهّل علينا التعامل والتوفيق وتوصيل الفكرة.

أمنيتنا الوحيدة أن نكون قد وفقنا وقمنا بخدمة ولو بقليل لبناء صرح أمّتنا وإعادة المجد الضّائع.

نظراً لارتباط البحث بالاستشراق كان لزاما علينا أن نتوقف قليلا لنسلّط الضوء على الاستشراق وما قام به المستشرقون اتّجاه الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وما دوّنوه وتوصّلوا إليه من بحوث واستنتاجات فإنّه ومهما كتبنا فإنّنا لا ولن نعطي الموضوع حقّه لأنّ الاستشراق أمر معقد يتطلب حنكة البحث والتنقيب، وحتّى أهل الحل والعقد لهم رؤى مختلفة ووجهات نظر متباينة، وحتّى نساير ونتدرج في البحث بمنحى تصاعدي تفرض علينا المنهجية ذكر ومضة عن الاستشراق.

1/ تعريف الاستشراق:

1.1 لغة: يقال في المعجم الوسيط: أشرقت الشّمس أي طلعت وأضاءت على الأرض، وأشرقت الأرض: أنارت بإشراق الشّمس، وفي التنزيل قال الله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ﴾[1].

وكلمة إشراق مشتقة من فعل شرق أي شرقت الشّمس من الشّرق، وشرّق: أخذ في ناحية الشرق، والمشارقة: سكان الشرق، والإشراق : انبعاث نور من العالم غير العالم غير المحسوس إلى الذهن تتمّ به المعرفة[2].

أمّا المعاجم الحديثة فتجمع في مفهوم لفظ الاستشراق على أنّه: اتجاه الغربيين بتراث الشرق وحضاراته ولغاته ، فالباحث يهتم بالدراسات الشرقية [3] .

1.2/ اصطلاحا:

يرى الدكتور أحمد غراب بأنّه: « دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتّى الجوانب، عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخا ونظما وثروات وإمكانيات بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه

[1]- سورة الشعراء، الآية: 60.

[2]- د/ ابراهيم مصطفى– أحمد حسن الزيات- حامد عبد القادر- محمد علي النجار، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللّغة العربية، دار الدّعوة مؤسسة ثقافية للتّأليف والطّباعة والنّشر والتّوزيع– اسطنبول – تركيا، دط، 1410هـ/ 1989م، ج1، ص 480.

[3]- صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق– بيروت، ط1، 2000م، ص 765.

وفرض التّبعية بدراسات ونظريات تدّعي العلميّة والموضوعيّة، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي»[1].

في حين يرى إدوارد سعيد: « بأنّ الاستشراق هو أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله، فكريّا وسياسيّا وممارسة السّلطة عليه»[2] .

فالاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشّرقي وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل باحث غربي يبحث في تراث الشرق من لغة وأدب وحضارة وديانة[3].

نستنتج من هذه التعريفات أنّ الاستشراق هو علم يدرس لغات الشّرق من حيث التراث والحضارة والمجتمع ويدخل معنى الشّرق أيّة منطقة شرقية لكن المصطلح يعني هنا ماله علاقة بالدراسات العربية أو اللّغات الّتي تأثّر عليها كاللّغات الفارسيّة والتركيّة.

وبدأت الدراسات تتّسع وتستقل حتّى أصبح لكلّ منطقة من المناطق تسميتها، فبدأ بعضهم يدعو دراسة اللغة العربية وشؤون العرب بالدراسات العربية Arabistic ويدعى المستشرقون المتخصصون بالعربيّة بالمستعربين.

2/ تاريخ ونشأة الاستشراق :

بدأت ظاهرة الاهتمام بعلوم الشرق منذ الحروب الصليبية حيث كانت أوروبا متخلفة علميا وتعيش في ظلام دامس فاطّلعوا على علوم الشرق[4]، وهذا ما يراه أحمد الشرباصي فيذكر بأنّ الاستشراق قد بدأ تقريبا في القرن الثالث عشر ميلادي حيث انبثق من الحروب الصليبية، الّتي لم تكن سوى نقطة تحول في تاريخ الشرق[5].

---

[1]- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي مكتب مجلة البيان– الرياض، دط، دس، ص5.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراق، (المفاهيم الغربية للشرق)، تر/ محمد عناني، جميع الحقوق محفوظة ل: رؤية– القاهرة، ط1، 2006م، ص46.

[3]- عادل الآلوسي، التراث العربي والمستشرقون، دار الفكر العربي– القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص13.

[4]- عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي– القاهرة– مصر، ط1، 1417هـ/ 1997م، ص499.

[5]- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر– القاهرة، دط، 1998م، ص55.

ولقد أثبتت الوقائع التاريخية أنّ النّشاط الإستشراقي قد توسع وحقق أغراضه وأهدافه الّتي نشأ من أجلها خلال القرن التاسع عشر حين بدأ الاستعمار الغربي يوسع نشاطاته لاحتلال الأراضي العربيّة الإسلاميّة وجعلها تحت سيطرته[1].

أمّا من حيث أسباب نشأته ووجوده فيرجعها الكثير من المؤرخين والمفكرين إلى أسباب عدّة منها:

- احتكاك المسلمين بالرّومان وذلك ما جاء به الأستاذ محمد حسين هيكل: «وقف المسلمون والنّصارى موقف خصومة سياسية ».

- وذهب البعض إلى أنّ نشأة الاستشراق جاءت من خلفية انتقامية من الهزائم المتكررة الّتي تكبّدها الصليبيّون على يد المسلمين وهذا ما ورد في كتاب " الكامل في التّاريخ" لابن كثير.

- ورأي ثالث في هذا الموضوع هو أنّ نشأة الاستشراق تعود إلى الحروب الدّموية الّتي نشبت بين المسلمين في الأندلس والّتي تمخّضت عنها حركة التّوبة والتّكفير عن الذّنوب، هذه الحركة سيطرت عليها طائفة الرّهبان[2].

لم يكن للألمان دور في استعمار بلدان الشّرق إلّا أنّهم احتكّوا بهم من خلال تحالفهم مع الدّولة العثمانية وذلك خلال الحرب العالمية الأولى ويعتبر "راسله" مؤسّس الاستشراق في ألمانيا حيث وبعد دراسته للّغة العربية قام بترجمة مقالات الحريري إلى اللّاتينية كما أنجز فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة ليدن وكان وراء إنشاء مجلات متخصّصة في الدّراسات الشّرقية ومجلة الإسلام، ممّا فسح المجال أمام مستشرقين ألمان ترجموا أشعار الصوفية وقسما من القرآن الكريم بدقّة بالغة.

ومن كبار المستشرقين الألمان نجد أيضا "فلوجل" الّذي قام بانجاز هائل في الفكر الإسلامي والمتمثّل في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، يليه "هلفارت" الّذي تعلّم العربية وأتقنها،

[1]- سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، دار المناهج للنشر والتوزيع– عمان– الأردن، ط1، 1423هـ/ 2003م، ص19.

[2] - د/ قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، جمادى الأوّل 1403هـ/ فبراير 1983م، ص(19 ،21) بتصرف.

وقام بفهرسة مكتبة برلين عن المخطوطات العربيّة والّذي بلغ عشر مجلدات، وقد ألّف "نولدكه تيودر" كتاب "نشوء وتركيب السور القرآنية " وكتاب " تاريخ القرآن" ويعتبر بحق واضع أسس البحث العلمي للدراسات القرآنيّة [1].

ومن المستشرقين الألمان الذين كان لهم إقدام على دراسة الحضارة العربية الإسلاميّة نجد "آدم متز" فهو من أوائل المؤرّخين في تاريخ هذه الحضارة، دون أن ننسى المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" الّتي أنصفت الحضارة العربيّة بمؤلّفاتها وخصوصا في كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" والّذي نحن بصدد دراسته.

3/ دوافع الاستشراق:

يعدّ الاستشراق ظاهرة تاريخية معقّدة تنوعت دوافعها عبر القرون وتباينت حسب المراحل التّاريخية، ربّما غلب عامل واحد أو أكثر في مرحلة معيّنة على غيره من العوامل، ولكن الحقيقة تبقى واضحة وهي أنّ جملة عوامل اشتركت في تحديد معالم الاستشراق ومنطلقاته، ولعلّ من الدّوافع البارزة في تحفيز المستشرقين. هذه الدّوافع تتلخّص فيما يلي:

أولا: الدّافع الديني:

بدأ هذا النّشاط من الرّهبان من أجل طعن الإسلام بصفته الخصم الوحيد للنّصرانية في نظر حاملي لواء الاستشراق، لقد عمل المستشرقون كلّ ما في وسعهم على إضعاف شوكة الإسلام محاولة منهم لإخراج المسلمين عن دينهم والزّيغ عنه تارة أو التّنصير والتّنفير وحملتهم على كراهيّته تارة أخرى، وذهب البعض من المستشرقين إلى حدّ التّشكيك في صحّة في القرآن والرّسالة المحمّديّة بأنّها مجرد أعراف عربيّة، وهذا ظنّ كاذب قد ادّعاه المستشرقون وفي مقدّمتهم الألماني شاخت، التّقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمدّا من الفقه الرّوماني، النّيل من اللّغة العربيّة واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التّطور وتكريس دراسة اللّهجات لتحلّ محل العربيّة الفصحى، كما عمل المستشرقون على إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل

[1] - عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الفكر الإسلامي، ص510.

على تفرقتهم واعتنوا باللّهجات العاميّة ودراسات العادات وإعطائها أكثر من حقّها لتطغى على كلّ ما هو صحيح من العقيدة[1].

ثانيا: الدّافع الاستعماري:

انبثق الاستشراق من رحم الحروب الصليبيّة فاتخذه المستشرقون مطيّة لتحقيق مطامع الدّول الاستعمارية، والدليل على ذلك نزول الكثير من الأساقفة إلى ميدان الاستشراق ومزاولة هذا النّشاط وإن كان ظاهره فكريّا فإنّ باطنه يوصل إلى إضعاف المقاومة الرّوحية والمعنوية، لقد سخرت أقلام عديدة لغرض سيّاسي واستعماري محض بل وظهر لدى المستشرقين أنفسهم عدّة فئات وتخصّصات في مجال الاستشراق ومنهم فئة المستعمرين[2].

ثالثا: الدّافع التّجاري والاقتصادي:

لقد أصبح الاقتصاد من أكبر عوامل توجيه السّياسة في الدّول الغربية، وهو أحد أهداف الغزو العسكري لنهب ثروات بلاد المسلمين واستغلال مواردها، ولا يمكن معرفة ذلك إلّا عن طريق الدّراسات الإستشراقية عن تلك البلدان وثرواتها، وكذلك إنشاء الأسواق والمؤسّسات المالية في البلاد الإسلامية وقيام كثير على رسم السّياسة لها وإدارتها، وهناك من المستشرقين ممن اشتغل بتحقيق التّروات أو القيام ببعض الجهود العلميّة والمؤلّفات ليتكسب ماديّا من وراء ذلك لما رأى لها من مردودات ماديّة وإن كانت محدودة [3].

رابعا: الدّافع العلمي:

ومن المستشرقين الّذين أقبلوا على الاستشراق بدافع حبّ الإطّلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى المنهج العلمي السّليم بل إنّ منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته.

---

[1]- د/ فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، (القرون الإسلامية الأولى ودراسة مقارنة بين وجهة النظرة الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية)، الأهلية للنشر والتوزيع والمملكة الأردنية الهاشمية- عمان، ط1، 1998م، ص31،32.

[2] - د/ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع المكتب الإسلامي، دط، دس، ص22.

[3] - أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص (45، 46) بتصرف.

خلاصة القول أنّ الاستشراق وإن كان ينمّ عن نيّة مبيتة للإسلام والمسلمين من قبل المستشرقين فإنّ البعض منهم كان منصفا في دراسته عادلا في طرحه أمينا في نتائج بحوثه مؤديّا للأمانة العلمية ومن هؤلاء كثيرا من اصطدموا بالحقيقة ونذكر على سبيل المثال:

- "هارديان ريلاند" أستاذ اللّغات الشّرقية جامعة "اوترشت" هولندا صاحب كتاب "الدّيانة المحمّديّة" والّذي وضعت كتابه الكنيسة في خانة المحرّمات.

- "يوهان رايسكه" مستشرق ألماني جدير بالذّكر أنّهم من قومه بالزّندقة لموقفه من الإسلام، ويرجع له الفضل في إيجاد مكان بارز للدّراسات العربيّة بألمانيا، ورغم حقد الحاقدين على الحضارة العربيّة الإسلاميّة إلّا أنّ هناك وجه إيجابي للاستشراق يكمن في إحياء حركيّة وديناميكيّة البحث التّاريخي ويساهم بطريقة أو بأخرى في تدعيم المكاسب الّتي حقّقتها الأمّة العربية فالفكرة الخاطئة أحيانا تكون بذرة صالحة وقد تؤدي إلى بذل مجهودات قصد إثبات الحقيقة أو العكس.. إذن فالاستشراق يفتح الآفاق لذوي الاختصاص من أجل الدّفاع والمقارعة العلمية للوصول إلى إقرار الحقّ وإزهاق الباطل.

كلّما دقّقنا النظر في واقع الأمّة العربيّة لاحظنا أنّها تنحدر نحو الهاويّة والانقراض، لأنّها وللأسف كانت لها ذات يوم حضارة إن لم نقل صاحبة حضارة بل هي مؤسّستها وبانيتها بفضل جيل ذهبيّ من المفكّرين والعلماء والباحثين والمكتشفين والمخترعين، ولعل الدّارس للحضارات القديمة منذ نشأتها إلى يومنا هذا يلمس أنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة كانت ولا تزال حجر الزّاوية أو الياقوتة الّتي زيّنت عقد تاريخ البشرية. ما الازدهار الّذي وصلت إليه حياة الناس في العصور الوسطى لخير دليل على ذلك. حتّى سميّ بالعصر الذّهبي الّذي اتّسم بنقلة نوعية وحياة راقية مما أثار إعجاب الغرب وجعله يفتح ذراعيه لاحتضان كل ما أنتجه العرب من اكتشاف واختراع وصناعة ولغة ومعاملة.

وهذا ما سنعرضه في بحثنا المتواضع الّذي قمنا به ونعترف مسبقا أنّنا سنكون مقصرين وأنّنا لم نقم سوى بخدش سطحي للموضوع، وخصوصا موضوع الحضارة لأنّنا ندرك جيّدا أنّ الباحث في موضوع كهذا كالغائص في المحيط نظرا لشساعته وامتداد شواطئه.

المبحث الأوّل: تعريف الحضارة العربيّة الإسلاميّة.

يعتبر مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في التّحديد، وذلك بفعل التّطوّر الدّلالي الّذي حظي عبر تاريخ الحضارة نفسها ونتيجة لحيويّة التّنقيب والبحث في حقل الدراسات الحضاريّة، ظهرت تعريفات متعدّدة ومتنوِّعة لظاهرة الحضارة.

المطلب الأوّل: الحضارة في اللغة:

1- اللّغة العربيّة:

الحضارة في اللّغة مصدر من الفعل حضر، وهي الإقامة في الحَضَر، وتطلق اليّوم على مظاهر الرقيّ والتقدّم في جميع الميادين.

جاء في لسان العرب لابن منظور الحَضَر خلاف البدو والحاضرُ خلاف البادي، وفي الحديث: لا يبيع حاضر لبادٍ.

والحِضارة: الإقامة في الحضر، عن أبي زيد. وكان الأصمعي يقول: الحَضَارَة ُبالفتح. قال القطامي:

فَمَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأيُّ رِجَالُ بَادِيَّةٍ تُرَانَا.

والحَضَرُ والحَضْرَة ُوالحَاضِرَة: خلاف الباديّة، وهي المدن والقرى والرّيف. سميّت بذلك لأنّ أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديّار الّتي يكون لهم بها قرار، والباديّة يمكن اشتقاق اسمها من بدا يبدو أي برز وظهر ولكنّه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون سواه، وأهل البدو والحاضِر والحَاضِرَة الحيّ العظيم أو القوم[1].

[1]- ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط1، 1990م، المجلد الرابع، ص197.

فلان من أهل البادية وفلان حضريّ وفلان بدويّ وفلان حاضِر بموضع كذا أي مقيم به. والحِضَارة بالكسر الإقامة في الحضر عن أبي زيد وقال: الأصمعي: هي بالفتح.[1]

وجاء في معجم مقاييس اللّغة في مادّة (حَضَرَ): أي إيراد الشيء وَوُرُودِهِ ومشاهدته. وهي أيضا خلاف البدو.

فأمّا الحَضَر الّذي هو العدْوُ فمن الباب أيضا، ويقال: أحضر الفرس وهو فرس مَحْضِيرٌ سريع الحضر ومِحضَار ويقال حاضرت الرّجل إذ عدوت معه. وقول العرب " اللّبن محضور" معناه كثير الآفة.[2]

وأشار الفراهيدي في هذا الموضوع إلى أنّ الحَضَرُ: خلاف البدو، لأنّ أهل الحاضرة حضروا الأمصار، والحَضْرَةُ: قرب الشيء، نقول: كنت بحضرة الدّار. والحاضر هم الحيّ إذا حضروا الدّار الّتي بها مجتمعهم فصار الحاضر اسما جامعا كالحاجّ والسّامر ونحوهما قال:

فِي حَاضِرِ لَجِبِ باللَّيْلِ سَامِرُهُ فِيهِ الصَوَاهِلُ والرَّاياتُ وَالعَكَرُ.[3]

2- اللغة الأجنبيّة: ظهرت لفظة Civilisation بالفرنسيّة سنة 1734م، مشتقّة من كلمة Civtas باللاّتينيّة بمعنى المدينة أو Civis بمعنى مساكن المدينة، أو من Civilis بمعنى مدني. وتنحدر أيضا من صفة Civilisé متحضّر في القرن السابع عشر، وأحيانا يستخدم البعض كلمة Culture الّتي تعني الثّقافة على أنّها مرادفة للحضارة .[4]

[1]- الرازي: (الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي)، مختار الصّحاح، ضبطه وصحّحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ / 1994م، ص82 .

[2]- ابن فارس: (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، معجم مقاييس اللّغة ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل- بيروت، ط1، 1411هـ / 1991م، المجلد الثاني، ص76.

[3]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ / 2003 م، المجلد الأول، ص327.

[4]- سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية - بن عكنون – الجزائر، ص 24.

المطلب الثاني: الحضارة في الاصطلاح:

هناك عدّة تعاريف للحضارة وهي متقاربة في المبنى متّحدة في المعنى، وأدقُّها هو أنّ الحضارة هي مجموعة المفاهيم النّاتجة من وجهة نظر الأمّة الّتي تشكل طرازاً خاصّاً لها في الحياة.

1- الحضارة عند ابن خلدون:

إنّما هي تفنّن في التّرف وإحكام في الصّنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله.[1]

ويرى ابن خلدون أن الحضارة تمرّ بثلاثة أطوار هي:

- طور البداوة: كمعيشة البدويّ في الصحاري والبربر في الجبال والتّتار في السهول وهم جميعا لا يخضعون لقوانين مدنية.

- طور التحضّر: حيث تأسيس الدّولة عقب الفتح أو الغزو وانتصار العصبيّة والاستقرار في المدن.

- طور التدهور: نتيجة الانغماس في التّرف.[2]

2- الحضارة عند مالك بن نبي:

هي انتاج فكرة حيّة تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التّحضر، الدفعة الّتي تجعله يدخل التّاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الّذي اختاره وعلى هذا النّحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه الّتي تميّزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى.[3]

---

[1]- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون)، المقدمة (المسمّى ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تح: لونان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ / 2003م، ص172.

[2]- المرجع نفسه: ص 170.

[3]- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بني نبي وارنولد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م، ص122.

وعرّفها من وجهة نظر وظيفية بأنّها: مجموع الشروط الأخلاقيّة والماديّة الّتي تتيح لمجتمع معيّن أن يقدّم لكلّ فرد من أفراده، في كلّ طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطّور أو ذاك من أطوار نموّه. [1]

ويضع مالك بن نبي للحضارة شروطا على شكل مثلث أضلاعه هي الإنسان والتراب والزّمن. ونجده يركّز على أنّ الحضارة الإسلاميّة كانت سببا في تشكيل وتكوين الإنسان في بعده الثّقافي حيث جعلت للقيّم الدينيّة استعلاء على القيّم الاجتماعية، بل وذهب إلى أبعد من ذلك حينما ألحّ على أنّ المسلم هو العنصر الأساسي والنّواة الأولى المشكلة للحضارة الإسلاميّة والمؤديّة إلى تعمير الأرض، دون أن يهمل عنصر الزمان الّذي هو في التّفسير الحضاري لايقاس بالمعايير الفلكية بل بالانجازات المحققة الدّالة على التحضّر الناتج عن استغلال الإمكانات الماديّة والمناخيّة والموارد الطاقويّة المساهمة في هذا التحضّر.

3- الحضارة عند ول ديورانت:

يرى المؤرخ الانجليزي ول وايريل ديورانت في موسوعته التّاريخية قصة الحضارة بأنّ الحضارة : «هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثّقافي، وإنّما تتألّف من أربعة عناصر أساسية هي الموارد الاقتصاديّة والنظم السياسيّة والتقاليد الخُلقية ومتابعة العلوم والفنون ». وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنّه إذا ما أمِن الإنسان من الخوف وتحررّت في نفسه دوافع التطلّع وعوامل الإبداع والإنشاء وبعدئذ لا تنفكّ الحوافز الطبيعيّة تستنهضه للمُضِيّ في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها، وهو يرفض في مفهومه التّفسير الّذي يخرج البدو وقبائل الأدغال من دائرة الحضارة.[2]

[1]- مالك بن نبي، مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النّهضة إلى الميلاد الجديد، بحوث الملتقى الدولي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والآفاق، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م، ج1، ص119.

[2]- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، (نشأة الحضارة)، ترجمة د/ زكي نجيب محمود، دار الجيل- بيروت، 1988م، ج1،ص ص(2،8).

4- الحضارة عند علماء الاجتماع:

الحضارة هي انتاج الإنسان المدني والاجتماعي بخصائصه الفكريّة والوجدانيّة والسلوكيّة، تحقيقا لأهداف أمّته وما ارتضته لنفسها من قيم ومثل...[1]

وأضاف الشيخ عبد الله ناصح علوان لهذا المفهوم بأنّ للحضارة جانبان هما:

أ- الجانب الأول: يتمثل في مظاهر الرّقي المادي الّذي يشمل جميع جوانب الحياة من صناعة، وتجارة وزراعة واختراع وفن...

ب- الجانب الثاني: يكمن في مظاهر الرقي المعنوي الّذي يتصل بالقيم الروحية، والقواعد الأخلاقية والإنتاج الفكري والإبداع...[2]

نشير إلى أنّه لا يلزم في وجود الرّقي المادي في بيئة من البيئات وجود حضارة إنسانية بالمفهوم الّذي ورد سابقا، إذ قد توجد أمّة متفوقة ماديا ومتقدمة علميا وصناعيا ولكنها غير متحضرة إنسانيا وغير ناهضة روحيا وخلقيا !

وبما أنّ موضوع دراستنا هو الحضارة العربيّة الإسلاميّة كان لزاما علينا أن ندرج لها تعريفا أكاديميا لأصحاب الاختصاص، ومنهم الدكتور أحمد شلبي الّذي عرّفها كما يلي: «هي ما قدّمه الإسلام للمجتمع البشري من فكر يرفع شأنه وييسر حياته، ونقول للمجتمع البشري ونعني ذلك فإنّ الإسلام قدّم مآثره للناس جميعا، وبعض هذه المآثر يتضح أحيانا مع غير المسلمين أكثر مما يتضح مع المسلمين، ونريد هنا أن نحق ونبرز دور المسلمين في الحضارة العالمية ونبين ماذا قدّم المسلمون من أياد للجنس البشري، ولا نقصد أن نعيش في الماضي، ولكننا نقصد أن نضع أرضا يقف عليها المسلم ليبني حاضره ومستقبله نريد أن ندرس الماضي لخدمة الحاضر

[1]- حسن رمضان فحلة، مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، ط1، 1410هـ/ 1989م، ص13.

[2]- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النّهضة الأوروبيّة، دار السّلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دط، دس، ص04.

والمستقبل، فإذا كان أجدادنا خلاّقين ومبتكرين فما أجدرنا أن نجدد العزم لنسير على مناهجهم، وأن نتمسك بالفكر الإسلامي ليقودنا إلى خير الدّنيا والآخرة».[1]

ونضيف قول الدكتور أحمد عبد الرازق أحمد: «هي مجموعة من المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مثل وتقاليد وأفكار ونظم وقوانين تعالج المشكلات بإفراد هذه المجموعة البشرية »[2].

نستخلص أنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة هي نتاج الأمّة العربيّة الإسلاميّة عبر تاريخها في كافّة المجالات، السياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة والفكريّة والفنيّة والأخلاقيّة والعمرانيّة بما يخدم تطور الإنسانيّة ورقيّها، وسميّت بالحضارة العربيّة الإسلاميّة لكون لغتها عربية من جهة ولأنّ الإسلام قيمة كوّن أساس تراثها الفكري ووجّه سائر مظاهرها في مسارات منسجمة مع أحكامه.

[1]- د/ أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، المجلد الأول المناهج الإسلامية (أصولها الصحيحة-انحرافاتها- وجوب تصحيحها مع مقدمة عامة لموسوعة الحضارة الإسلامية)، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط6، 1989 م ،ص21،22.

[2]- أحمد عبد الرازق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي– القاهرة، ط2، 1417هـ/ 1997م، ص10.

المبحث الثاني: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ومجالات ازدهارها.

المطلب الأول: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية:

كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام مجموعة من الأعراب البدو والرحّل والمدنيين سكان المدينة، وكانت الحضارة السائدة آنذاك حضارة العبيد ودلمون اللّتين ازدهرتا في منطقة الأحساء والخليج، ويرى الكثير من علماء الآثار أنّ القبائل العربية نزحت في هجرات متتالية، وأسّست الحضارة الكلدانية المتفوقة على الحضارة السومرية ثمّ تلتها الحضارة الآمورية والآرامية ثمّ الآشورية الّتي ازدهر تاريخها السياسي، وامتدّ نفوذها ليشمل منطقة بحر قزوين وفارس ومصر كما عرفت الجزيرة العربية موجات أخرى من نزوح القبائل العربية إلى الشّام ومن تمّ إلى سواحل البحر المتوسط، أين تأسّست الحضارة الكنعانية لتخلفها الفينيقية الّتي اشتهرت بنشاطها البحري والتجاري وسيطرت على معظم جزر البحر وسادت حضارات عربية ازدهرت في الجزيرة ثمّ بادت ومنها قوم عاد ثمّ دولة سبأ وبلغت قبيلة ثمود حدّا عظيما من المدنية والتقدّم في شمال الجزيرة العربية، وازدهرت حضارة مدين وكان لهم باع وشأن في السيطرة على طرق التجارة وكلّ هذه الحضارات كان مصيرها الانهيار والزوال أدخل المنطقة في دوّامة الانحطاط والضعف.[1]

إذاً الحضارة العربيّة الإسلاميّة لم تظهر من العدم لأنّ كلّ انجاز حضاري لا يمكن أن يكون بمعزل عن غيره سواء في علاقته بجذور حضارته السّابقة أو بغيره من الحضارات الأخرى وهذا ما حدث للحضارة العربية الإسلامية فهي نتيجة مشتركة بين عناصر قديمة وأخرى جديدة[2].

لقد مرّت الحضارة العربية الإسلامية منذ نشأتها بمسار منحناه تصاعديّا تتابعيا، كما يرى ذلك كثير من المؤرخين فمن نشأة إلى نهضة إلى ازدهار وتوسع وأخيراً إلى انحطاط وتدهور، رغم أنّ إشعاعها أنار معظم جهات العالم القديم ولا يزال ينير الكثير من جنبات العالم الحديث ممّا

[1]- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار الكتاب اللبناني– بيروت – لبنان، ط1، 1978م، المجلد العاشر، ص(13،14)، بتصرف.

[2]- فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص159.

جعل الباحثين والمختصين يتّفقون ويجمعون على أنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة تعدّ واحدة من أكبر الحضارات الّتي عرفها العالم.[1]

وكانت بداية الدّولة العربية الإسلامية على يد النّبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، بوضع وثيقة المدينة والّتي ألغت بظهورها كثيرا من العادات القبلية لصالح دولة حضارية جديدة هي الحضارة العربية الإسلامية الّتي قادها رسول البشرية وذلك في سنّه الأربعين عند نزول الوحي عليه، وكان أول ما أنزل عليه قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝﴾[2].

هنا بدأت رحلة الدّعوة إلى الدّين الإسلامي، لقد كانت حياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم حافلة بالأحداث كلّها تصبّ في خانة تكوين وبماء المجتمع الإسلامي[3]، وبعد أن أكمل الرّسول صلى الله عليه وسلم إبلاغ رسالته ونزلت الآية الكريمة قال تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ﴾.[4]

وبعد إلقاء خطبته الجامعة في حجة الوداع عام 10 للهجرة والّتي حدّدت أركان الإسلام وحقوق المسلمين وواجباتهم، انتقل رسول الله إلى جوار ربّه بعدما أكمل الرّسالة وأدّى الأمانة تاركا وراءه دستوراً شاملاً لمختلف أوجه الحياة الاجتماعيّة والسياسّة الاقتصاديّة والدّينيّة والفكريّة، أخرج به البشرية من مستنقع الجهل والفساد والتّناحر. فالقرآن الكريم أولا والسنّة النّبوية ثانيا هما الأساس في فتح آفاق النهضة الفكرية أمام العرب، فبدأت العلوم المختلفة الّتي ابتدعها العرب أو طوّروها من دراسة القرآن والسنّة النبوية مع عدم إهمال الأثر الّذي تركته حضارات المنطقة وتمكّنت حضاراتنا من استيعابها وإعادة صياغتها وفق الأسس الإسلامية بدون أن تلجأ إلى الاقتباس التّام أو النّقل الأعمى.

[1]- الربعي بن سلامة، الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، دس، ص13.
[2]- سورة العلق، الآية: 1- 5.
[3]- أبو بكر جابر الجزائري، العلم والعلماء، دار الشهاب للطباعة والنشر عمّار قرفي- باتنة، دط، 1405 هـ / 1985م، ص126.
[4]- سورة المائدة، الآية: 03.

يرى أحمد أمين أنّ القرن الرابع الهجري هو العصر الّذي بلغت فيه الحضارة والعلوم والفنون ذروتها .[1]

ويقول أيضا : «عقلية عربية لها طبيعة خاصّة هي نتاج بيئتها، وعيشة اجتماعية خاصّة يعيشها العرب في جاهليتهم، دين إسلامي أتى بتعاليم جديدة ورسم للحياة مثلا أعلى يخالف المثل الّذي كانت ترسمه تقاليد الجاهلية، وفتح إسلامي مدّ سلطانه على فارس وما حولها وعلى مستعمرات رومانية فأذاب ما كان للفرس من دين ومدنية وعلم في المملكة الإسلامية جميعها وكوّن منها مزيجا واحدا مختلف العناصر».[2]

لقد كان لظهور الإسلام الدور الرّئيسي في نشأة وظهور الحضارة الإسلامية وتوجيه النّاس إلى عمارة الحياة الدّنيا وتسخير المادّة لخدمة الإنسان وإلى اكتشاف أسرار الطبيعة وأخذ متاع الحياة الدّنيا ضمن طاعة الله ،قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.[3]

عرف العصر الذّهبي للحضارة العربية الإسلامية إنشاء "بيت الحكمة" الّتي كانت بمثابة قطب تعليمي، وكانت بيت الحكمة تضمّ خزائن الكتب الّتي يقصدها المتعلّمون...ويرجع المؤرخون أنّ هذه الفكرة تعود إلى العصر النّبوي أيّام جمع المصحف وتدوين السنّة وقراءة كتب الأوّلين، وتطورت فكرة بيت الحكمة وخرجت من القصور في عهد هارون الرّشيد لتصبح في متناول العامّ والخاصّ للدّارسين وطلّاب العلم.

وكان هذا الصّرح معلما ومقصدا للغرب ومنهلا علميّا معرفيا لعب دورا قياديا في تلك الفترة فتطورت الفكرة وأصبحت سنّةً اتّبعها الكثير من رجالات الدّولة وكذا العلماء ونذكر على سبيل المثال:

---

[1]– آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرّابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، تصدير الترجمة العربية بقلم أحمد أمين، الدار التونسية للنشر- تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ط1، 1405هـ/ 1986م، ج1، ص07.

[2]- أحمد أمين، فجر الإسلام، تقديم عبد المجيد البصير، موفم للنشر– طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية – الجزائر، دط ، 1994م، ص 100 .

[3]- سورة النّحل، الآية: 89.

- دار علم الموصلي الفقيه الشّافعي جعفر بن محمد، لقد كانت دور العلم خطوة واسعة نحو تكوين الجامعة الإسلامية ومرحلة من مراحل تطورها وأبرز مميزاتها، وعرف العصر العبّاسي اهتماما بالغاً بمجالس العلم ومن أشهرها:مجالس الرّشيد حيث كانت فضاءً للعلماء ورجال الدّولة والأمراء والخلفاء، وقد يجتمع أكثر من عالم يمثّلون أنواع العلوم والمذاهب وتدور المناقشات والمناظرات والنظر في بعض المسائل العلمية والقضايا الأخرى.[1]

لقد كانت مكتبة بيت الحكمة مؤسّسة علمية في العراق وهي إحدى المؤسّسات التّي تدعى ب "أوّل جامعة في التّاريخ" أنشئت في عصر الخليفة العباسي هارون الرّشيد وابنه عبد الله المأمون، وأحدثت نقلة نوعية في التّرجمة تمهيدا للعصر الذّهبي الإسلامي في بداية القرن التّاسع الهجري سنة 840م لذلك يعدّ فخرا للحضارة الإسلامية التي أنشأت أوّل جامعة، وكانت تضمّ مساكن للطّلاب والمعلمين إضافة إلى احتوائها قاعات خاصة بخزائن الكتب وأقسام التّرجمة والنّسخ والتأليف والتجليد والمطالعة والدّراسة في شتّى المجالات وبلغ نشاط بيت الحكمة ذروته في عهد الخليفة المأمون التي أولاها عناية فائقة ووهبها كثيراً من المال والوقت حتّى أصبحت خزانة كتب ومركزاً للتّرجمة والأبحاث ورصد النّجوم.

ومن أهمّ ما تميزت به بيت الحكمة تعدّد المصادر من كتب قديمة وتراجم من كتب ألفت وأخرى نسخت ممّا جعلها مجمّعا علميّا يضمّ ما يزيد عن 300000 كتابا.

ولم يكن تأسيس بيت الحكمة مجرّد مكتبة ومركز للتّرجمة والتّأليف والمناظرة فحسب وإنّما كان أيضا مسرحا للحوار بين حضارات الشّرق والغرب بين الحضارة العربيّة الإسلاميّة والحضارات اليونانية (الإغريقية) والفارسية والهندية والسريانية ...الخ، وما توصّل إليه علماء تلك الحضارات من نتائج علمية هو ملكٌ للبشرية بغضّ النّظر عن عقائد وأجناس وألوان إنّما انطلاقا من العقيدة العلمية، كلّ هذا كلّف بيت الحكمة أموالا طائلة فكان على الدولة العبّاسية مثلا: دفع مبالغ ضخمة للحصول على المخطوطات ونقلها ومبالغ أخرى للمترجمين والعلماء والإداريين

[1]- د/ حسن جبر، أسّس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، دار الكتاب الحديث، ط2، 1999م، ص224.

وأعمال النّسخ والرّصد والصّيانة، فلقد وصلت أجرة حنين بن إسحاق مثلا وزن الكتاب الذّي يترجمه ذهبا.

وظلّ بيت الحكمة قائما شامخا في خدمة العلم والحضارة الإسلامية حتّى اجتياح المغول بغداد سنة (656هـ /1258م) حيث تم تدمير معظم محتوياته.[1]

وهكذا عرفت الحضارة العربية الإسلامية في العصر العبّاسي أوج ازدهارها.

ونجد من أهمّ العوامل الّتي ساعدت الحضارة العربيّة الإسلاميّة على ازدهارها مايلي:

1- اعتناق شعوب الخلافة الإسلامية الإسلام، حيث وحّد فكرهم بعد تخلّيهم عن رواسب دياناتهم السابقة.

2- التّعريب أن تكون اللّغة العربية اللّغة الرسمية للدّولة ما دام النّاس قد توحّدوا في الفكر الديني فعليهم التوحد في لغة هذا الدّين، ممّا أجبر شعوب الدّول المفتوحة يقبلون على تعلم اللّغة العربية.

3- التّنافس العلمي بين الخلافات المتعاقبة.

4- التّراث الحضاري للأمم السابقة والمعاصرة، لقد اطّلع المسلمون على حضارات غيرهم من الأمم ولم يكن العالم العربي المسلم مقفلا على نفسه وإنّما كان على اطّلاع كبيرعلى العلوم والآداب للأمم الأخرى من يونان ورومان وفرس وهنود، ويرجع الفضل إلى ما حدث في العصر العبّاسي عندما وصلت الدولة إلى عصرها الذّهبي في المجال العلمي حيث بدأ العلماء المسلمون بترجمة علوم اليونان وبالخصوص الفلسفة اليونانية ومن العلوم الأخرى كالجغرافيا والصيدلة والطّب...[2]

[1]- د/ حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر العبّاسي، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتوزيع- بيروت - لبنان، ط1، 1414هـ/ 1994م، ص ص(40.39).

[2]- محمد فاروق أحمد الإمام، معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، تقديم الشيخ منير غضبان، دار المأمون للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص ص(169. 179).

لقد كان العرب وعاء للمعرفة اليونانية تفاعلوا معها ونقلوها إلى اللّغة العربية ممّا ساهم بقسط وافر على نشر الحضارة اليونانية ومن تمّ إثراء اللّغات والعلوم الأوروبية، هذا الإنتاج في الحضارات استحق التقدير والاحترام ولولا الجهد العربي في مجال الترجمة والتّأليف والإضافة لما وصلت إليه أوروبا إلى ما وصلت إليه اليوم .

الحضارة الفارسيّة هي الأخرى كان لها دور كبير في ازدهار الحضارة العربيّة الإسلاميّة خاصة بعد ما أصبحت بلاد العراق وبلاد فارس تحت الحكم الإسلامي وقد كان اختلاط ظهور أصحاب اللسانيين الّذين يُجيدون العربيّة والفارسيّة مثل: عبد اللّه بن المقفع، وسهل بن هارون، والفضل بن سهل وموسى بن سيار. ومن الفرس من تحمّس وأجاد العربية أمثال: ابن جرير، والطبري، والبخاري، والزمخشري..ومن أهم الكتب المترجمة من العربية إلى الفارسية: توقيعات كسرى، وكليلة ودمنة.

حضارة أخرى كان لها دور فعال وايجابي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، هي الحضارة الهندية خاصة بعد الفتوحات الإسلامية شرقا على يد الفاتح محمد بن القاسم، وبدأ بعدها الاتّصال الحضاري مع الثّقافة الهندية، ومن أهم المجالات التّي تأثرت بها الحضارة العربية هي: الفلسفة الهندية، الرياضيات، التعرف على بعض علوم الفلك مثل: حركات الكواكب والنجوم، ودخول بعض الألفاظ الهندية إلى العربية كالزنجبيل والكافور، ومعرفة بعض الأعمال الأدبية مثل السندباد.[1]

اختلف المؤرخون والمفكرون في تحديد الأسس الّتي قامت عليها الحضارة العربية الإسلامية ونتج عن هذا الاختلاف عدّة تيارات ينطلق كلّ ذي رأي من خلفية فكرية أو إيديولوجية معينة ويمكن إجمال هذه التيارات في ثلاثة اتجاهات هي:

[1]- فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص ص (164، 166).

1- الاتجاه القومي العربي: يرى أصحاب هذا الرأي أنّ الحضارة عربية وحجتهم في ذلك أنّها انطلقت من الجزيرة العربية وأنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [1] .

زياد على ذلك أنّ اللّغة العربية هي آلة احتضنت معظم ما أنجزته هذه الحضارة من علوم ومعارف في مختلف أقاليم الإمبراطورية الإسلامية من الصين إلى الأندلس، ويجد هذا الفريق ما يدعّم وجهة نظره لدى بعض المستشرقين، كان من هؤلاء جوستاف لوبون الذّي ألّف كتابا اسمه " حضارة العرب " وبالخصوص المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة في كتابها " شمس العرب تسطع على الغرب "، بحيث تقول: « إنّ هذا الكتاب والحضارة العربية ولا أقول الحضارة الإسلامية، وذلك أنّ كثيرا من المسحيين واليهود والمزديين والصائبة قد حملوا همّ مشاعلها أيضا، وليس هذا فحسب بل إنّ كثيرا من تحقيقاتها العظيمة الشأن كان مبعثها احتجاجا على قواعد الإسلام القويمة Orthodosce بل أضف إلى ذلك أن كثيرا من صفات هذا العلم الروحي الخاصة كان موجودا في صفات العرب قبل الإسلام...».[2]

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الحضارة العربية لا تستطيع أن تستعيد مكانتها إلّا إذا قامت على أساس قومي يتحمّل فيه العرب مسؤولية البعث والتّجديد.[3]

2- الاتّجاه الإسلامي: يذهب أصحابه إلى أنّ العرب لم يحدثوا في العالم تأثيراً ولا تغييراً إلّا بعد مجيء الإسلام ومن هنا كان الأساس الحقيقي للحضارة هو الإسلام، ذلك أنّها استمدت أصولها وثوابتها من قيم الإسلام وأسسه الرّوحية لأنّها ارتكزت على القرآن والحديث ومبادئ التشريع فحملت بذلك الروح الإسلامي، ويدعّم هذا الاتّجاه المستشرقين ومنهم "آدم متز" في كتابه "الحضارة الإسلامية أو عصر النّهضة في الإسلام في القرن الرابع الهجري" ونجد أيضا "فون جرنباوم" في كتابه " حضارة الإسلام " إلى أنّ الحضارات في العصور الوسطى كانت تنسب إلى

[1]- سورة يوسف، الآية: 02.

[2]- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، تر/ فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر– بيروت ودار الآفاق الجديدة– بيروت ، ط10، 1423هـ/ 2002م، ص 7.

[3]- الربعي بن سلامة، الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير، ص 13.

الديانات وليس إلى الأوطان، ويتنبّأ مؤيّدو هذا الاتجاه أنّ الحضارة الإسلامية قادرة على الانبعاث وبشرط الرّجوع إلى مبادئ الإسلام وتعاليمه.[1]

3- الاتّجاه التّكاملي: وهو اتجاه يجمع العروبة بالإسلام وسمّاها بالحضارة العربية الإسلامية لأنّها استمدّت من العروبة الأصول والجذور كاللّغة العربية هذه اللّغة التّي كانت وسيلة لفهم تعاليم الإسلام وإدراك علوّ مكانته ومبادئه وقد أسهمت الشّعوب العربية والإسلامية في بناء هذا الصرح العظيم.[2]

ويدعّم الدكتور شايف عكاشة هذا الرأي بحيث يرى: «بأنّ الله سبحانه وتعالى بعث آخر رسول في المسيرة الإنسانية محمد صلّى الله عليه وسلّم من أجل إتمام هذه الرّسالة الإسلامية التّي بدأها الرّسل من قبله، حيث أنّهم بُعثوا خصّيصا لأقولهم، ممّا جعل مهمّة كلّ واحد منهم تنتهي بانتهاء قومه سواء بالعقوبة الإلهية التّي سلّطها الله على تلك الأقوام، أو تبقى منتشرة إلى حين في حيز محدود بقوم تلك الرّسل بينما الرّسول محمد صلّى الله عليه وسلّم قد بُعث لتبليغ رسالته إلى كافّة الأنام، وعبر كلّ الأزمنة الدّين الّذي جاءت به الرّسالة المحمّديّة دين الإنسانية جمعاء، وهو بهذا يختلف عن كلّ الأديان السّماوية السّابقة نظراً لشموليته من حيث المكان والزّمان، وبخصوصيته من حيث الخاتمة والشّمولية، وقد جاءت هذه الرّسالة لتقضي على ما تبقّى من وباء الشّرك ومخلّفاته الاجتماعية والنّفسية، ولتدعّم من جهة ما بلغه أبناء آدم في سلم التّطور الحضاري الإنساني ».[3]

المطلب الثّاني: مجالات ازدهار الحضارة العربية الإسلامية:

عرفت الحضارة العربيّة الإسلاميّة ازدهاراً كبيراً في العصور الوسطى، وفي مجالات عدّة شملت كلّ جوانب الحياة، ولم يكن هذا صدفة ولا عفويّاً وإنّما كان نابعا من قناعات دينية وعلمية، سنذكر أهمّ المجالات الّتي برع فيها العرب والمسلمون للذكر لا للحصر، لأنّنا مهما كتبنا وبحثنا فلن

[1]- الشحات السيد زغلول ، الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، دط، 2011م، ص 28.

[2]- الربعي بن سلامة، الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير، ص15.

[3]- شايف عكاشة، الحضارة العربية الإسلامية بين التطور والتخلف، ديوان المطبوعات الجامعية– الساحة المركزية بن عكنون– الجزائر، دط، 1994م، ص44.

نستطيع أن نعلق القائمة ولن تكفينا صفحات هذا البحث القزم في ذكر مناقب علماء العرب والمسلمين الّذين برزوا في تلك العصور المضيئة لتاريخ حضارتنا العربية الإسلامية، والتّي وصل نورها إلى أوروبا بل وأنار أرجاء هذا العالم مخلصّا إيّاه من ظلمة الجهل فاتحا له آفاق التّقدّم والازدهار...

1/ **العلوم الدّينية**:

من الطّبيعي أن تكون العلوم الدّينية هي أوّل ما يهتمّ به المسلمون من منطق انتمائهم إلى الأمّة الإسلامية، انتماءٌ دفع بهم إلى الغوص في أعماق هذه العلوم وذلك عن طريق الفهم والتطّبيق ومع استمرار البحث توصّل المسلمون إلى أنّه من الضّروري أن يكون للعلوم الدّينية ضوابط تخصّ كلّ مجال أو فرع من فروعها والمتمثّلة في علوم القرآن وعلوم الحديث، إنّ المتتبّع لجهود المسلمين في حفظ القرآن يدرك الاهتمام البالغ والجهود الكبيرة الّتي بذلك لحفظ الكتاب وتداوله بين الأجيال قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[1]

لم يواجه المسلمون مشكلة في حفظ القرآن طوال عصر النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ولكن بعد استشهاد كثير من الحفّاظ في حروب الرّدّة أحسّ الصّحابة بمشكلة، ولكنّهم كانوا على درجة من الوعي مكّنتهم من اجتياز هذه المحنة ووضعوا الحلول المناسبة ومن بينها: جمع القرآن الكريم وكتابته في المصحف، وتوارث المسلمون نصّ القرآن مكتوبا ومثلواً، والتّلاوة هي الأصل والكتابة تبعٌ لها، فهذا التّوارث أجبر العلماء على الاجتهاد في دراسة القراءات وطرائقها معتمدين في ذلك سبع قراءات.[2]

جمع عثمان بن عفّان أهل الرّأي من الصّحابة واستقرت المشورة على نسخ الصحف الموجودة عند حفصة.

[1]- سورة الحجر، الآية: 09.

[2]- حسن جبر، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، ص 287.

أمّا علم التّفسير فتفاوت المسلمون في فهم معاني القرآن وبيان آياته على قدر اختلاف القدرات في الفهم والاستيعاب، وتفسير القرآن الكريم خدمة للّذين والأمانة العلمية التي حملوها واشتهر في هذا الباب علي بن أبي طالب: «وَاللّهِ مَا نَزَلَت آيَةٌ إلاَّ وَقَد عَلِمتُ فِيمَ نَزَلَت وَأَيْنَ نَزَلَت وَإنَّ رَبّي وَهَبَ لِي قَلْباً عَقُولاً ولِسَاناً سَؤُلاً ».[1]

علم الحديث مضى العصر الأوّل ولم يكن تدوين الحديث شائعا إنّما كانوا يروونه شفاها وحفظا[2]، وامتدت الفتوحات الإسلامية وانشر العرب في الأمصار وتفرّق روّاة الحديث وحفّاظه بل ومات عدد كبير منهم، فشعر العلماء بالحاجة إلى تدوين الحديث وأدرك عمر بن عبد العزيز ضرورة ذلك وكتب إلى أهل المدينة على رأس 100 للهجرة وانتدب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ليقوم بكتابة الحديث فقال له: «انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء».

واعتبر علماء الحديث هذا أوّل تدوين للحديث النّبوي الشّريف، ومع مرور الوقت انتقل الحديث إلى مرحلة أخرى من التّطوير والتّمكين، ومرحلة التّصنيف والتّبويب وطرق الجمع، ومنها: طريقة المسانيد، طريقة المعاجم، وطريقة الجوامع.[3]

2/الأدب:

حضيّت اللّغة العربيّة منذ البداية باهتمام بالغ من طرف روّاد العلوم اللّغوية ولقد ساهم عدد من الأعاجم في تطوّر اللّغة العربية ومصطلحاتها خلال العصرين الأموي والعبّاسي بفضل ما نقلوه إلى العربية من علوم مترجمة عن لغتهم الأم، وهكذا أصبحت اللّغة العربيّة هي اللّغة الرسمية في العصر العبّاسي، وكانت لغة علم وأدب وفلسفة ودين لدى جميع الشّعوب ولم تقف اللّغة العربية عاجزة أو متفرجة أمام علوم اليونان والفرس والهنود وغيرهم من أصحاب الحضارات السّابقة.[4]

[1]- محمد حسن محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي- العين- الإمارات العربية المتّحدة، ط1، 2001م، ص 290.

[2]- أحمد أمين، فجر الإسلام، ص 90.

[3]- المرجع السّابق: ص 70، 73 (بتصرف).

[4]- محمد الخطيب، تاريخ الحضارة العربية، منشورات دار علاء الدين – دمشق – سورية، ط1، 2001م، ص 162.

لقد اهتمّ المسلمون ومنذ وقت مبكّر بعلم اللّغة، فانطلقوا في كلّ اتّجاه يجمعون المفردات والكلمات التّي استعملها العرب واتّخذوا القرآن كأوّل مصدر لجمع مفردات اللّغة العربية بحكم أنّه يمثّل قمّة البيان ونظرا لما فيه من ثروة لغوية دسمة[1]. اهتمّ في صدر الإسلام مرّ الشّعر بفترة ركود في ظلّ الانشغالات بالفتوحات ونشر الإسلام، ولكن هذا لم يوقف تفجر ينابيع الشّعر، كون طبيعة شبه الجزيرة العربية وصفاتها، ساعدت على انتاج هذا النّوع من الأدب خاصّة الشّعر الرّقيق كالغزل والفخر والمدح والهجاء وغيرها.

ومع تطوّر الدولة الإسلامية ونموها بدأ الأدب يتّجه ويتفاعل مع الأحداث فكان الإنتاج الأدبي مواكبا للوقائع التّاريخية، فتطوّرت القصيدة وظهرت ألوان جديدة من الشّعر. وشهدت الدولة الإسلامية نقلة نوعية وعرف الشّعر ارتقاءً ووفرةً ويعود سبب هذه المكانة إلى المناظرات والمنازعات والمنافسات الّتي كانت بين الشّعراء هي ثورة ضخمة وواسعة النّطاق تلك الّتي مرّ بها الأدب في العصر العبّاسي حيث عرف تجديدا في المفاهيم والأساليب، ويظهر هذا التّجديد في شعر أبي نوّاس، أبي تمّام الطّائي، ابن الرّومي والبحتري وآخرون... كما ازدهر الشّعر السيّاسي في العصر الأموي مع قيام الأحزاب السيّاسية وظهر شعر المدح بفعل الظّروف الاقتصادية والاجتماعية.[2]

خطا النّثر العبّاسي خطوات عملاقة واكب نهضة العصر وأصبح قادراً على استيعاب المظاهر العملية والفلسفية، كما أنّ الموضوعات النّثرية تنوّعت فشملت مختلف مناحي الحياة (الكتابة الفنيّة، التّوقيعات، الرّسائل)، نجد الجاحظ الّذي اشتهر بحب العلم ودقّة الملاحظة في كتبه كالحيوان، المحاسن والأضداد، البيان والتبيين، كما ظهر فن المقامة الّذي وضعه بديع الزّمان الهمذاني ولقي هذا اللّون الأدبي كثيرا من الرّواج، وهكذا وصل الأدب إلى قمّة لم يشهد لها التّاريخ من قبل.

[1]- أحمد حامد المجالي، هايل خليفة الدهيسات، الحضارة العربية الإسلامية أسسها ومنجزاتها، ص 162.

[2]- المرجع السابق: ص 163.

لقد ذبلت اللّغات السريانية والقبطية واليونانية أمام اللّغة العربية ولم تعد اللّغة الفارسية بدورها سوى لغة كلام ونقاش[1]، في حين كان الفكر اللاتيني يتّصف بالجفاف والجمود، بينما الآداب الإسلامية تتّصف بالخصوبة والإبداع والحيوية، ويؤكد هذا الباحث "روسكين جي" في قوله: «ولعلّ خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنّها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر ونثر العصور الوسطى، وتمكن الأوروبيون بفضلها من خلق نزعة جديدة في آدابهم الأوروبية تتمثل في النزعة الرومانطيكية خاصة في ميدان الغزل الرقيق والرّثاء الباكي». فالأدب العربي الإسلامي المغربي هو الّذي أحدث ذلك التأثير الكبير البالغ في الدراسات النثرية الأوروبية خاصة القصص الخرافية ذات المغزى والهدف الأخلاقي الّتي تتخذ الحيوان موضوعا لها[2] .

3/ الرياضيات:

تشمل الرياضيات الحساب والجبر والهندسة والمثلثات وجميعها تحتاج إلى قوّة تجريد، ورُقي عقلي، ففي صدر الإسلام لم يهتمّوا بالرياضيات لأنّهم تركوا أمر الجباية والدّواوين للموالي، ولكن ما كاد عبدا لمالك يعرب الدّواوين ويستعمل العرب فيها، حتّى انكبّ كثير منهم على الكتابة الرّسمية والحساب حتّى قيل:علّم ابنك الحساب قبل الكتاب، وما لبثوا أن مهروا في هذه العلوم وغيرها.

وقد استعمل العرب قديما طريقتين للحساب والعدّ، طريقة حساب الجمل وهي إعطاء قيمة عددية لكلّ حرف من الأبجديّة، والطريقة الثّانية هي كتابة الأرقام بالحروف،[3] كما في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾.[4]

[1]- لبيب عبد السّاتر، الحضارات، دار المشرق – بيروت – لبنان، ط 16، 2003م، ص 276.

[2]- د/بكري عبد الكريم، مجلّة الحضارة الإسلاميّة، (دورية أكاديمية تعنى بالفكر والثقافة الإسلاميّة)، إصدار المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلاميّة- وهران، العدد الأول، 1414هـ/ 1993م، ص09.

[3]- حسن جبر، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، ص323.

[4]- سورة يوسف، الآية،04 .

ولمّا كانت العلوم امتدادا لما سبقها فإنّ العرب وجدوا من سبقهم في هذا المجال الرياضيات الهندية واليونانيّة، الشيء الذّي سهّل عليهم كتابة الأعداد مع التّهذيب.[1]

أضاف العرب إلى العرب إلا هذا الإرث طريقة جديدة وهي الإحصاء العشري واستعمال الصفر والأرقام وقد نقلا البشرية نقله نوعية لم تعرفها من قبل فلولا الصّفر لكان من المتعذّر على العلم الحديث أن يتوصل إلى ما ينعم به العالم اليوم من تطور وتقدّم، اختراعات وصناعات، تقنيات معقّدة ولولا لما توصّل الإنسان إلى إيجاد الكمية الموجبة والكمية السّالبة في علم الكهرباء والموجب والسّلب في الجبر.[2]

كما توصل العرب إلى بعض الخواص في الرياضيات، من أزواج وأفراد، ومتواليات هندسية وجذور وأشكال، وعمليّات حسابية كالجمع والطّرح والقسمة وأجزاء الوحدة كالكسور.

وكان الخوارزمي أوّل من قام بتأليف كتاب الجبر والمقابلة، واضحا فيه أصول علم الجبر وقواعده، كما عرّف جميع عناصر المعادلة الجبرية، وحظي علم الهندسة هو الآخر جهوداً حثيثة من قبل المسلمين فاندفعوا نحو البحث عمّا خلّفه الأوّلون قصد الاستفادة، وكان التّركيز في بداية الأمر حول التّرجمة والشّرح والتّطبيق لكتاب أول الهندسة لإقليدس، هو من أصل يوناني.[3]

وتاريخ الرياضيات حافل عند العرب ويشهد ينبوع العديد من العلماء مع تأليف الكثير من الكتب القيمة في الهندسة، نذكر على سبيل المثال الأصول الهندسية والعددية، لابن الهيثم.

4/ الطّب:

كانت ممارسة الطب في الجزيرة العربية أكثر شيوعا بين العرّافين والمجربين، فالفريق الأول اعتمد على التكهن والاستعانة بالنجوم والتعاويذ والسحر، حتّى أصبح لكلّ قبيلة عرّافا، وأمّا

[1]- فخري خليل النّجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص191.
[2]- د/ فهمي توفيق محمد مقبل، مآثر العرب المسلمين على الحضارة الأوروبية الفكر الجغرافي نموذجا، 1430هـ/ 2009م، ص10.
[3]- حسن جبر، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، ص336.

المجربون فاتخذوا الأساس المادي مطيّة واستعملوا الكي والبتر والفصد، والحجامة والحمية والعقاقير والأعشاب الطبية.

وبعد مجيء الإسلام حدث تقويم وتعديل في مجال الطّب، خصوصا بعد تحريم السّحر والكهانة والعرّافة والابتعاد عن استخدام المسكرات لقد حثّ الإسلام على الطبّب وأعلى من شأنه، وبهذا يكون قد فتح باب للطّب التّجريبي تاركاً هذا للمجهود البشري قال رسول الله عليه وسلّم: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاء، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاء بَرا بإذن الله».[1]

وقد عُرف أيضا عن رسول البشرية صلّى الله عليه وسلّم التّداوي بالعسل والتمر والأعشاب وغيرها ممّا عُرف بالطّب النّبوي.

ولم يفق المسلمين عند باب الطّب النّبوي، مع إيمانهم بنفعه وبركته، بل أدركوا أنّ العلوم تحتاج دوام البحث والأخذ عن الآخر خاصة إذا كان نافعا، وعليه فقد أخذ أطباء المسلمين في التّعرف على الطّب اليوناني، كما أنّ الخلفاء بدءوا يستقدمون الأطبّاء الرّوم ونشيط المسلمون في ترجمة كلّ ما توقّع تحت أيديهم من مؤلّفات طبية وهذا من أعظم أحداث العصر الأموي.

وما إن جاء العصر العبّاسي حتّى كان لأطبّاء المسلمين معارف طبيّة خاصّة بهم، بفضل الجهود العظيمة بذلوها من ترجمتهم لكنوز الحضارات السّابقة (اليونانية، الفارسية، الهندية).

لقد أجاد المسلمون في فنّ من علوم الطّب وصحّحوا ما كان من أخطاء فهذا ابن النّفيس يعارض نظرية جالينوس في عضو القلب، ليتوصّل إلى ابتكاره الدّورة الدّموية الصّغرى.

وهذا العلامة الإسلامي الطيب أبي بكر الرّازي صاحب كتاب الحاوي من أعظم الكتب في تاريخ الطّب، وكان الأطبّاء المسلمون يتميّزون بعقليات مفكّرة، وطاقات جبّارة، ولم يجعلوا الطّب حكرا عليهم حتّفي زمان قوّة دولتهم بل كان الباب مفتوحا لكل العلماء، حيث نجد أسماء نصرانية ويهودية مؤثّرة في هذا المجال وأثرى هذا الحقل العلمي أدوات الجراحة، كان لها وجود في الطّب العربي فلقد استخدم الأطباء الكثير من الأدوات في الولادة، وعلاج الأسنان وكسور

[1]- د/ راغب السرجاني، قصّة العلوم الطّبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتّوزيع والتّرجمة- القاهرة، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص(29.28) بتصرف.

العظام.ونذكر على سبيل المثال: الجرّاح الإسلامي الفذّ أبي القاسم الزّهراوي الذّي أبهر العالم- ولعدّة قرون- بأدواته التّي ابتكرها واستعملها بنفسه وسجّلها في كتابه "التّصريف لمن عجز عن التّأليف " .[1]

أمّا بخصوص المنهج المتّبع في الطّب فكانت تحكمه الضّوابط الشّرعية، التّي جاء بها الذين الإسلامي: قال الرسول صلّى الله عليه وسلم: «إنَّ الله أنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وجَعَل لِكُلِّ داءٍ دواء، فتداووا وَلا تَتَدَاوُوا بِحَرَام». ولم يستخدم المسلمون الكي في العلاج، لأن الرّسول نهى عن ذلك فقد روى ابن عبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:«...وأنْهى أمَّتِي عَن الكَيِّ».[2]

ومن إسهامات المسلمين الطبية أيضا نجد علم وظائف الأعضاء، وعلم الصّحة، والأدوية وبرعوا في التّخذير وأقدموا على إجراء عمليات جراحية واسعة وبرز عن هذا ظهور فروع الطّب المختلفة والتّخصّصات مثل: الطّب الجراحي- طب العيون- طب الأطفال- علم التّشريح- الطب النّفسي، بالإضافة إلى تطور ملحوظ في طرق العلاج واكتشاف الدّاء. وربطوا بين الأمراض الجسدية والنّفسية ودرسوا مرض السّرطان في المعدّة والبلعوم وعرفوا تنظيف المعدّة من التّسمّم بواسطة الأنبوب.[3]

اهتم العرب بالمستشفيات في العصور الإسلامية عبر التّاريخ اهتماما بالغا وظهرت في العالم الإسلامي مستشفيات متخصصة لأنواع الأمراض وكثيرا ما كان يطلق عليها اسم البيمارستانات ونذكر علة سبيل المثال: أول مستشفى للجذام في الإسلام أنشأه الوليد بن عبد الملك عام (707هـ)، بينما في أول مستشفى للجذام في أوروبا في القرن الثاني عشر نقله إليها الصليبيون عن سوريا.[4]

فالطب من أوسع مجالات العلوم الحياتية التّي كان للمسلمين فيها إسهامات بارزة على مدار عصور حضارتهم الزّاهرة، وكانت تلك الإسهامات بارزة على نحو غير مسبوق شمولا وتميزا

[1]- المرجع السّابق: ص(32،33،34) بتصرف.
[2]- المرجع نفسه: ص 41.
[3]- د/عز الدين فراج، فضل علماء المسلين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، ط1، دس، ص 126 .
[4]- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النّهضة الأوروبية، ص43.

وتصحيحا للمسار حتّى لمخيّل للمطّلع على هذه الإسهامات كأن لم يكن طبّ قبل حضارة المسلمين.

5/الصيدلة:

فصل العرب علم الصيدلة عن الطّب في بغداد ومصر والأندلس، وظهرت في أواخر القرن الحادي عشر من قبل فريدريك الثّاني، هو الذّي فتح أبواب مملكته للعلماء العرب لتدريس العلوم الطبية في كلية سالرنو وجامعة نابولي، ومن الكتب التّي كان على الصّيادة دراستها هي دستور طبي للصيادلة، بها الطرق التّي يجب إتباعها في تحضير العقاقير، وذكر فيه طريقة استعمال الاسفنجة للتّخذير فهي مزيج من الأفيون والبنج واليبروح تجمع وتجفف في الشّمس ثمّ تنقع في ماء ساخن ويقطر هذا المحلول في فتحتي أنف المريض، وهذا أوّل استعمال للتّخدير في الجراحات، فالعرب هم الذّين وضعوا أسس صناعة الصّيدلة وقد فرضوا على الأطبّاء كتابة ما يصفوا للمريض من أدوية على ورقة خاصة سميّت بالتذكرة، الصفحة، النّسخة، ثمّ الوصفة الطّبية.

وتدوين علوم الصيدلة لابن سينا فتقول الدكتورة شوار تزهب:«إنّا لغرب لن ينسى أبدا أنّه مدين للعرب بدراسة الطّب وأنّ مؤلفات ابن سينا والزهراوي، والرازي، كانت هي الكتب الوحيدة التّي تدرّس في الجامعة بالرمو التّي تضمّ أشهر مدرسة للطّب في العالم الغربي وكانت هذه الكتب قد ترجمت إلى اللّغة اللاتينية».[1]

والمسلمين هم أوّل من أسس مدرسة للصيدلة، وطبّقوا الكيمياء على الصيدلة والصناعة، وأوجدوا طرق التّقطير، التكليس، التّحويل، التبخير، الكحول، ونثرات الفضّة، الرّاسب الأحمر والبورق، وحامض الطرطير، وملح البارود، والزرنيخ، زيت الزّاج، البوتاس، وروح النّشادر، وقد استمر علم الصيدلة في أوروبا حتّى منتصف القرن التّاسع عشر.[2]

[1]- أحمد علي الملّا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر- دمشق، ط1، 1399هـ/ 1979م، ط2، 1401هـ/ 1981م، ص(141،142) بتصرف.

[2]- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وآخرها في النّهضة الأوروبية، ص 45 .

6/ علم النبات والزراعة:

لقد اهتم المسلمون بالنبات بعد ترجماتهم للكتب الأجنبية مثل كتاب ديوسقوريدس، وكانت دراستهم تقوم على الملاحظة والتّجربة، وتطوّر علم النبات باعتباره أصلا للعقاقير ويعدّ ابن مسكويه ت(421هـ) الواضع الأوّل للأسس التّي قام عليها تقسيم المملكة النّباتية إلى أقسام رئيسية، ونجد أيضا ابن سينا تحدّث في كتابه الشّفاء في الجزء الخاص بالطبيعيات عن النظريات حول تولد النّبات ذكره وأنثه، وعن النباتات الساحلية والبحرية والرملية والمائية والجبلية.[1]

ونبغ آخرون أمثال رشيد الدين الصوري، وضياء الدين بن البيطار ويعتبر أعظم عالم نباتي ظهر في القرون الوسطى، حيث كان رئيسا للعشّابين في عهد الملك الكامل الأيوبي، ودرس ما جاء بكتاب جالينوس، وكان متمكنا في معرفته بالنبات والعلاج الأعشاب حتّى اشتهر بلقب الطبيب الحاذق والعشّاب البارع، وله كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية يشمل على العلاجات البسيطة المستخلصة من النباتات أو المعدن، وكذلك العقاقير المستخلصة من بعض الحيوانات وذكر كثير من الأدهان مثل دهن الورد، ودهن النّرجس، ودهن القيصوم، ودهن البابونج، وتحدث عن أنواع الين وبين فوائد كل نوع، واتبع المنهج الذّي اتبعه ابن سينا في كتابته. له كتاب المغنى في الأدوية المفردة في العقاقير[2].

لقد تقدم المسلمون في مضمار الزراعة تقدّما ملحوظا وكان لهم الأثر الأكبر في هذا المجال، يعتبر "كتاب الفلاحة" لأبي زكرياء يحي بن محمد العوّام من أهم المؤلّفات في هذا الموضوع في العصور الوسطى. شرح فيها مئات الأنواع من النباتات وطرق زراعتها ويحتوي على دراسات جديد في التطعيم وخصال التربة والسّماد ووصف الأمراض وطرق علاجها.[3]

---

[1]- عبد الله بدوي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ودار الفارس للنشر والتوزيع- عمّان، ط1،ج1، ص 423.

[2]- مصطفى فتحي، موسوعة أعلام الحضارة الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، دط،2001م، ص(179-180) بتصرف.

[3]- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النّهضة الأوروبية، ص40.

وانتقلت من الأندلس علوم تنسيق الحدائق إلى أوروبا وتوالت حركة التنسيق الحدائقي حسب الطراز العربي مستمدة خصوصياتها من القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّة مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[1].

وفرض وجود الحديقة اختيار التّربة والمناخ. ممّا جعل العرب يغوصون في دراسة حياة النبات، وكل ما له علاقة بها ففي المناطق الحارة تتطلب زراعة نباتات مستديمة الخضرة.

وفي المناطق الباردة وجب غرس نباتات صامدة واختلف إنشاء الحدائق بين العام والخاص وتعددت مظاهر الجمال والهندسة النّباتية فأصبحت فنّا شمل اللون والظل والماء. [2]

7/ الفيزياء والكيمياء:

بحث العرب في جميع العلوم الفيزيائية، وإن كان لعلماء اليونان الفضل الأوّل في إرسال المبادئ الأولى لهذا العلم فإنّ أبناء الحضارة الإسلامية كان لهم فضلان الأوّل في حفظ التراث وترجمته إلى العربية، والثاني في شرحه وتهذيبه وما أضافوه من زيادة وابتكارات، ويعترف ويدمان بهذه الحقيقة التاريخية،ويعتبر ابن الهيثم أحد علماء الفيزياء الكبار، حيث ترك وخلّف العديد من الكتب في الفيزياء وكذلك الرياضيات وأشهر ما كتب في البصريات.[3] فلولا البصريات لما تقدم علم الفلك وعلوم الطّبيعة، والبيروني هو أوّل من أعلن أنّ سرعة الضوء أعظم من سرعة الصوت، وبحث العرب في الصوت وأدّى ذلك إلى البحث في الموسيقى والآلات الموسيقية والنقر عليها وأنواع الأنغام، وقسموا الأصوات إلى أنواع منها الجهر والخفيف والحاد والغليظ، وأخذ العرب المغناطيسية عن اليونان وهم أوّل من عرف خاصية الجذب في المغناطيس، واخترع ابن يونس

[1]- سورة البقرة، الآية: 266.

[2]- د/ إبراهيم سليمان عيسى، الحضارة الإسلامية علماء المسلمون وضلهم في علوم الأحياء، 1419هـ/ 1999م، دار الكتاب الحديث- القاهرة، دط، ص78.

[3]- حسن جبر ، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها ، ص 336.

المصري ت(399هـ) الرقّاص واسمه الموار، وقد استعمله الفلكيون العرب لحساب الفترات الزمنية أثناء رصد النّجوم.[1]

بدأ اهتمام المسلمين بالكيمياء منذ العصر الأموي على يد خالد بن الوليد بن يزيد بن معاوية، وكانت الفكرة الأولى إلى إمكانية تحويل المعادن الحسية إلى ذهب، وسميت الكيمياء بعلم الصّنعة ليتحول هذا العلم إلى علم الكيمياء بأوجه علم عربي لكثرة مساهمة العرب خاصة وأنّهم تمكنّوا من الوصول إلى تحضير العديد من المركبات، وتوصل العرب إلى فصل الذهب عن الفضّة مع إتقان عمليات التقطير والتشريح[2].

ونجد جابر بن حيّان أوّل من حضّر حامض البريتيك، ومن إسهامات العرب في علم الكيمياء نتيجة تجاربهم العلمية إلى تحضير المواد التالية:

حامض الكبريت (H_2SO_4)، حامض النيتريك (HN_{O3})، حامض روح الملح (HCL) الصودا الكاوية (NaOH)، الكحول (CH_3OH)، النّشادر(NH_4OH)، الاتمد(Sb)، نترات الفضة ($AgNO_3$) ويدخل في الصيدلة.أكسيد المنغنيز (Mn_{o2}) ويدخل في صناعة الزجاج[3].

8/ الفلسفة:

الفلسفة هي كلمة يونانية معناها الحكمة، وفيها يستنتج أنّ الفيلسوف هو الحكيم، وقد اتفق كلّ من ابن سينا على أنّ الفلسفة هي إيثار الحكمة، والفيلسوف معناه المؤثر للحكمة.

وقد تمخّضت عناية المأمون بعلم الفلسفة بأن ظهر فلاسفة مسلمون مثل: الكندي، والفارابي، وابن رشد...، ممّن لم يكتفوا بنقل الفلسفة القديمة من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية فقط بل درسوها وشرحوها وفسّروا الغامض منها وابتكروا نظريات فيها، وقد نبغ الكثير من علماء العرب

[1]- محمد الخطيب، تاريخ الحضارة العربية، منشورات دار علاء الدين– دمشق – سورية، ط1، 2008م، ص(219- 220) بتصرف.

[2]- أحمد حامد المجالي وهايل خليفة الدهيسات، الحضارة العربية الإسلامية أسسها ومنجزاتها، ص 186.

[3]- محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، ص 215 .

والمسلمين في ميدان الفلسفة إلى درجة أنّه يروى أنّ الحكماء أربعة: اثنان قبل الإسلام: سقراط وأبقراط، واثنان بعد الإسلام وهما: الفارابي وابن سينا[1].

وقد طبّق علماء العرب والمسلمين علم المنطق على العلوم البحتة، والعلوم التقنية، فدرسوا فلسفة سقراط ومنطق أرسطو الصّوري وأفلاطون لهذا الغرض، وكانوا يفهمون تماما أنّ العلم الفلسفي ينّظم العمل، والعمل يتمّم العلم، ونجد أبا حامد الغزالي ت (505هـ) وهو فيلسوف الإسلام قد قضى معظم حياته في دراسة الفلسفة والردّ على الفلاسفة الملحدين، وكان يعتبر علما من أعلام المنطق فقد استخدمه لنصرة الإسلام.[2]

ونجد الفيلسوف ابن رشد ت (595هـ)، وهو أعظم فيلسوف أندلسي ترك أثراً واضحاً في الغرب، وذلك من خلال تعاليمه الفلسفية وتلاميذته من بعده هي التّي حفّزت الأوربيين ودفعتهم إلى عصيان تعاليم الكنيسة والأخذ بمبدأ الفكر الحرّ وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة، كما أثرت في فلسفة توما لاكويني تأثيراً كبيراً لدرجة أنّ الفصول التّي كتبها عن العقل والعقيدة، وعن عجز العقل عن إدراك الأسرار الإلهية، عبارة عن مقابلة لما كتبه ابن رشد في باب: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة، ولقد ترجمت كتب ابن رشد إلى اللاتينية في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي[3].

ونجد أيضا محمد بن باجة، وابن طفيل صاحب قصّة يحي بن يقظان التّي ترجمت إلى اللاتينية سنة (1671م) وإلى الهولندية (1972م)، ونقلت إلى أكثر اللغات الأوربية، ولابن سينا كتاب سمّاه الشّفاء يعتبر موسوعة فلسفية كبرى حوت أقسام الفلسفة من منطق وطبيعيات وإلهيات، وقد ترجم إلى اللغات الأوروبية[4].

---

[1]- د/ بكري عبد الكريم، مجلة الحضارة الإسلامية ، ص10.

[2]- علي بن عبد الله الدّفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– لبنان، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص 36.

[3]- د/عبد الرحمن بدوي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت– لبنان، ط1، 1995م، ج1، ص 121.

[4]- موسى عبد اللاوي، الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، دار العلوم للنشر والتوزيع – حي النصر عنابة – الجزائر، دط، 1429 هـ / 2008م، ص 159 .

9/ العلوم الاجتماعية:

1- علم التاريخ: عرف العرب علم التّاريخ منذ القدم ولكنهم لم يدونوا تاريخهم معتمدين في ذلك على الذاكرة والرواية في سرد الأحداث والأخبار مع ظهور الإسلام تغيرت المعايير وأصبح للكتابة مكانة ودور ممّا سهل عملية تدوين التاريخ.

سارت بدايات التاريخ عند المسلمين والعرب في اتّجاه ديني وهذا ما نجده عند أهل الحديث في صدر الإسلام، وارتكز العمل على سيرة الرّسول وأقواله وأفعاله وحروبه ومعاهداته، وكان هذا بداية الاشتغال بعلم التاريخ، وممن برز في هذا التّخصص عبد الملك بن هشام ثمّ ظهر تطور على يد محمد بن عمر الوافدي الذي ألف كتاب المغازي الذي رتبه على السّنين حتّى أحداث (179هـ)، وبعده تلميذه محمد بن سعد فألّف كتاب الطبقات الكبرى وبمرور الوقت اختص أبو مختف بأخبار العراق وفتوحها والمدائن بأمر خراسان والهند وفارس والواقدي بالحجاز والسيرة واستمرت الكتابات التاريخية حتّى نهاية القرن الثّاني الهجري ونتيجة اهتمام العرب والمسلمين بعلم التاريخ تعددت أنواع الكتابات التاريخية والكتب التاريخية.[1]

2- علم الجغرافيا: كان للعرب اهتمام بالجغرافيا بسبب حياتهم في الرحلة والتّنقل والتّجارة، وقد عرفوا الأرض البركانية وعرفوا النفط المتسرب من باطن الأرض، والجغرافية الفلكية بالإضافة إلى معرفتهم بأوقات الصلاة والصّيام والحجّ، وكان للخريطة في زمانهم نصيب من انجازاتهم ومن أقدام المؤرخين في الجغرافيا السّدوسي (810هـ) وله كتاب الأنواء وللخوارزمي كتاب الجغرافيا والكندي أيضا أثار في العلم، ومن كبار الجغرافيين المقدسي (390هـ / 1000م).

والعرب هم السبّاقون إلى اكتشاف أنّ الأرض بيضاوية الشّكل، وبما أنّ علم الجغرافيا يتطلب الرحلات نجد أنّ الجغرافيين العرب قاموا بذلك ومن أشهر الرّحلات، رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة وكتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار وعجائب الأسفار، (779 هـ -1377م).[2]

[1]- أحمد حامد المجالي، وهايل خليفة الدهيسات، الحضارة العربية الإسلامية أسسها ومنجزاتها، ص 167.
[2]- فخري خليل النّجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص 200.

واستغلّ العرب الاكتشاف الصّيني الخاص بالإبرة المغناطيسية، البوصلة التي استعملها الصينيّون في الأمور، الجغرافية والملاحة لكل مايتعلّق بالمناخ والطقس من حركة الرّياح والأمطار ومواسم الحرّ والبرد وتقلّبات الجو عرفه العرب قبل غيرهم.[1] لم يتوقف العرب عند هذا الحد بل راحوا إلى أبعد من ذلك.

كان العرب يرصدون النّجوم والكواكب، فقد أمر المأمون فلكييه بالانتشار في الأرض يمينا وشمالا في بيداء سنجار والشّام والعراق، ليأخذوا الأبعاد والمسافات ووحدات القياس وقاموا بإرساء فكرة الرصد، ومن أهم المراصد: مرصد بن موسى بن شاكر على نهر دجلة سنة 869م، مرصد البتاني، مرصد جبل المقطم بالقاهرة، مرصد اسطنبول.[2]

10/ الفنون:

بدأت طلائع الفنون الإسلامية في العهد الأموي، وكانت تتمثل في القصور والمساجد والمنازل والأثاث والأراضي والسجاجيد، وكانت هناك آراء متباينة في بعض نواحي الفنون وهذا التّباين يعود إلى مرجعية الفكر الإسلامي وأبه في بعض هذه الفنون.

ممّا جعل العرب يهتدون إلى تحديد الأهداف وكان التّوجه كليّا نحو حركة العمران والبناء، فظهرت النّقوش والنّحت والتصاوير في العمارة الإسلامية المتمثلة في المساجد ومباني الخدمات وكل هذا يتجسّد في تصميم المباني، والصحن والشرفات والمحراب والمآذن، العقود المنابر، وظهرت الزخارف النباتية وشكلت الفسيفساء الهندسة المعمارية، عمارة إسلامية طغى عليها فن الزّخرفة بكل أنواعه وألوانه حتّى أنّ هذا الفن سميّ بالأرابك نسبة إلى العرب وانتشر هذا الفن لينتقل من العمارة إلى الأثاث إلى ظهور ورشات وأسواق خاصة بالنحت والنقش.[3]

[1]- د/ فهمي توفيق محمد مقبل، مآثر العرب المسلمين على الحضارة الأوروبية الفكر الجغرافي نموذجا، ص 11.
[2]- المرجع السّابق: ص 201.
[3]- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص60.

مجال صناعي آخر لم يغفل عنه العرب عن الصناعات الأخرى ويتمثّل في صناعة لا يقل أهمية الورق،" ولقد أدرك الخليفة المنصور قيمة هذه المادّة الجديدة للكتابة نظرا لاستهلاك علمائه وكتبه كميات كبيرة منها".

لقد وجد هذا الاختراع الجديد مكانته وازدهرت صناعة الورق ليتطور معها فن الطّباعة بالتّوازي" نعرف حق المعرفة أن العرب قد سكوا النّقود في مطابعهم وصنعوا أوراق اللعب الّتي وصلت إلينا(الدّاما)".[1]

وكان لظهور صناعة الورق دافعا قويا في تطوير فنّ الخط العربي من حديث، فبعد ما كان وسيلة في بداية الأمر نما وازدهر وأصبح غاية فتطورت أنماطه وأشكاله وأنواعه وغزا كلّ مجال توفر له صفحات الكتب، الجدران،أواني، القماش، وهذا ما دفع بالخطاطّين إلى أصناف من الأفلام بلغت ثمانين قلما إلى أن أصبحت الكتابة علما،نوع الخط العربي وأثراه وأوصله إلى الجمالية والرّونقة وهذا ما نبه إليه "ياقوت المستعصي": إنّ الخط هندسة رومانية، ومن أهم أنواع الخطوط الّتي استثمر فيها العرب الخط الكوفي وتفنّنوا فيه واضعين له ضوابط ومقاييس تزيده اتقانا وروعة ومكانة. ولقد استعمل الخط الكوفي كتابة الآيات القرآنية، والحكم، والأشعار. ليدخل الإدارة والمؤسسات ويستعمل في تثبيت وترسيخ تواريخ الوفيات والولادات...

الموسيقى: وممن برزوا في هذا المجال الفنّي ابن الكلبي(النغم) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والكافي في الموسيقى لابن زيلة وعلم الموسيقى لابن سنبل وآخرون...

تطورت الموسيقى في عهد العصر الأموي واستعملت الآلات الهوائية الخشنة والموسيقى الحربية في العهد العباسي حين ترسبت المؤثرات الفارسية واعتبر إسحاق الموصلي الموسيقي الأوّل في عصره أمّا زرياب فهو تلميذ إسحاق وقد فاز بإعجاب الخليفة الرشيد، وهكذا ظهر في الأندلس العديد من الموسيقيين والمغنيين، وبقيت خصائص الموسيقى العربية ومميزاتها حاضرة حتّى اليوم، وبخصوص الموسيقى فقد عرف العرب عليها حتّى قبل الإسلام كفن وغناء وعزف

[1]- موسى عبد اللاوي، الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، ص155.

على بعض الآلات على غرار الشّعوب الشرق الأدنى ويروى أنّ اليمنيين كانوا أبرز من مارس هذا الفن.

وإلى بداية التّاريخ الميلادي برز سوق عكاظ فكان فضاء للشعراء والموسيقيين يتنافسون بعضهم بعضا ومن أهمّ الآلات التّي استعملت وقتها العود والطنبور والمزهر والمغرقة والقصابة والمزمار والدّف والصنج.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأبي موسى الأشعري: «لَقَد أتيتُ مِزمَاراً مِن مَزَامِير آل دَاوُود»[1]

[1]- د/ عماد الدين خليل، د/ فايز الربيع، الوسيط في الحضارة الإسلامية، دار الحامد للنشر والتوزيع- عمان- الأردن،ط1، 2004م، ص157،158.

المبحث الثالث : تأثر الغرب بالحضارة العربية الإسلامية ونقلها.

ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية طوال قرون عديدة، وانتشرت مآثرها الرّائعة في معظم أنحاء العالم فامتدت من فرنسا إلى الصين، وكانت أنبل حلقات الحضارة الإنسانية وقد استوعبت هذه الحضارة تراث الأمم القديمة في الآداب والعلوم والفنون ومضيفة إليه لمستها العربية الإسلامية الأصيلة مبتكرة في الوقت نفسه علوما وفنونا وصنائع لم تكن موجودة، وكانت اللغة العربية لغة العم والثقافة العالمية لمدّة طويلة، وأغشى ما في تراثنا هو تطبيق العدالة كما وردت في صدر الرّسالة الإسلامية، وقد سلكت في وصولها إلى الغرب معابر أساسية هي: الأندلس، وصقلية، وبلاد الشام. وهناك معابر ثانوية نذكر مثلا: البعثات العلمية، والتجارة.

1/ الأندلس:

تعتبر الأندلس أهمّ المعابر التّي تدفقت منها علوم المسلمين نحو أوروبا، ولقد شكّلت المركز المتقدّم لها على أرض ذاتها، وحينما أفل نجم المسلمين بالأندلس- بعدما قادوا مسيرة هذه البلاد حوالي ثمانية قرون بلغت فيها الحضارة الإسلامية أوجها وظهرت الحركة المعروفة في التاريخ الأندلسي بحروب الاسترداد المسيحية- لم يستطع الملوك الأسبان المسيحيون الوقوف أمام تلك الحضارة فأخذوا يعترفون بها ويأخذون لمظاهرها.[1]

ففي عهد ألفونسو العاشر تمّ ترجمة كتب الحكم والألغاز والقصص مثل: السندباد وألف ليلة وليلة، وقد استقدم مطران طليطلة المونسيير ريموند ت(1151م) العلماء وأدخلهم إلى مدينته فنشروا الفكر الإسلامي في العلوم والفنون والآداب والفلسفة، ومن أهمّ التّرجمات من العربية إلى الإسبانية، فكانت مؤلّفات ابن سينا (النّفس والطّبيعة) وآثار الغزالي (مقاصد الفلسفة) وكتب الخوارزمي، وفلسفة ابن رشد ومن أشهر المترجمين دومينيوكس غوند الطليطلي.

[1]- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبيدة، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية نشأتها في المشرق، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004م، ج1، ص 954.

2/ صقلية:

فتح العرب المسلمين صقلية في حوالي القرن الثّامن الميلادي بعد حكم الدّولة الرومانية الشّرقية، فحكمها المسلمين زهاء قرنين من الزمان أقاموا خلالها المساجد والمدارس والجامعات.[1]

وبلغت الحركة العلمية في صقلية أوج ازدهارها في عصر الإمبراطور فردريك الثّاني (1215م - 1250م) الّذي شجّع المترجمين على نقل التّراث العلمي العربي إلى اللاتينية، فترجم ميخائيل سكوت موجز مؤلّفات أرسطو في علم الحياة وعلم الحيوان مع شروح ابن سينا، وترجم كتاب أصول الهندسة عن التّرجمة العربية وبقيت تدرس في مذر أوروبا وجامعاتها إلى سنة 1853م فيما اكتشفت المخطوطات اليونانية. [2]

لم تكن صقلية مركزا لنقل العلوم العربية وإنّما كانت معبرا لانتقال الصّناعات والفنون والآداب إلى إيطاليا وسائر البلاد الأوروبية، واهتمّ المسلمون في صقلية بالزراعة فقاموا بحفر الترع والقنوات، وأدخلوا زراعة القطن وقصب السّكر، والكتّان والزيتون، ومن الصناعة استخراج النّحاس والكبريت والذّهب والفضّة والحديد والرصاص، وعلّموا أهالي الجزيرة صناعة الحرير وصناعة السّفن، ومن العلماء الذين ظهروا في جنوب صقلية نجد الشريف الإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في احتراف الآفاق" الذي جمع معلومات المسعودي وبطلموس ونصع لروجر النّورماندي خريطة كروية الأرض من الفضّة.[3]

3/ بلاد الشّام:

الحروب الصليبية على بلاد الشّام لم تكن بحثا عن العلم والمعرفة كما يظنّه كثير من كتّاب القرن التّاسع عشر، وإنّما كانت حربا وهجوما استعماريا نتيجة أوضاع مزرية مرّت بها أوروبا دينيا واقتصاديا، ولم يكن للصليبيين منهم إلّا تحصين مواقفهم التي استولوا عليها، والدّفاع عن كياناتهم

[1]- أحمد الملّا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، ص 121.

[2]- محمود شاكر، موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة، دار أسامة للنشر والتوزيع-عمّان- الأردن، ط1، 2002م، ج1، ص457.

[3]- محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، ص 457.

التي أقاموها في بلاد الشّام، ومن خلال استعراض الفترة التي بقي فيها الصليبيون في هاته البلاد نجد أنّ حدّة الإقتلال لم تهدأ يوما إلا بعد أن تمكّن المسلمون من طردهم نهائيا عام (689هـ/1291 م) [1].

وهكذا نجد أنّه لم تتم للصليبيين في بلاد الشام حياة الاستقرار للإقبال عن النشاط الفكري والحضاري، رغم أنّهم أقاموا إمارات في كلّ من أنطاكيا وطرابلس ومملكة بيت المقدس هذه الحروب التي تمخّض عنها احتكاك قوي بين المسلمين والصليبيين ولكن في حدود الحرب ممّا جعل فرص التبادل الفكري والمعرفي منعدما .[2]

ويتساءل أرنست باركر قائلا: " أنّه حتّى لو توافرت مقومات الحياة العلمية للصليبيين في بلاد الشام فأين لهم بالعلوم التي يأخذونها؟ كون عصر الحروب الصليبية امتياز بنوع من النضوب الفكري، فهذه الفترة عرفت وفاة ابن سينا (1037م)، والغزالي (1111م). بل إنّ الخليفة العباسي المقتفي في بغداد أمر بحرق الكتب الفلسفية عام (545هـ/ 1150م)، ومنها مؤلفات ابن سينا نفسه، فهذه الظروف لا تساعد الصليبيين على الاستفادة من علوم المسلمين ".

وهناك نقل غير مباشر حصل عن طريق الاحتكاك اكسب الصليبين عادات ومصطلحات وثقافة حربية نقلها الصليبيون إلى أوروبا، وبذلك تطور فن الحروب عن الغربيين الذّين استفادوا كثيراً من هذه الهجمات، ويتعلق الأمر ببناء القلاع استعمال المجانيق، واستخدام الدروع وإرسال الرسائل عن طريق الحمام الزاجل واخذوا كثيراً من طرق الزراع، وعرفوا السمسم والمشمش والسكر والتوابل وصناعة المرايا والملابس القطنية، ونقلوا أسلوب بناء المستشفيات[3] .

4/ البعثات العلمية:

كان لها نصيب في هذا الموضوع مما ساعد على انتقال الحضارة العربية هو التسامح والتعايش السلمي في العصور الوسطى أكسب الأوروبيين العلوم العربية الإسلامية في الجامعات، وبقي

[1]- طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النّهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، نيسان 1975م، ص 228.
[2]- محمد فاروق الإمام، معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، ص40.
[3] - المرجع السابق: ص (42،43) بتصرف.

المسلمون الموريسكيون حتّى القرن السابع عشر في شبه الجزيرة الاسبانية مصدرا للحضارة، وقد كثرت البعثات والرحلات العلمية من أوروبا إلى الأندلس وبلاد الشام وصقلية للاطّلاع على العلوم المختلفة، وكان البابا سلفستر الثاني أحد الأوروبيين الذين نهلوا من علم الرياضيات في معاهد الأندلس سنة (1003م)، وقد اتسم عهد عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الثالث، بالحكم بالمحبة والسلام والاستقرار والعلم، ممّا خلق بيئة ثقافيّة وعلمية متقدمة [1].

5/ التجارة:

لعبت التجارة دوراً هاما في عبور وانتقال الحضارة العربية الإسلامية بين الأندلس وأوروبا في عهد المماليك، لقد انتشرت التجارة بين الشرق والغرب عبر عدّة ممرات بحراً وبرّاً ولقد اجتاز العرب المسلمون جبال الألب الشمالية ودخلوا سويسرا، وامتدّ نفوذهم من نواحي وشواطئ بحيرة كنستانس شمالا إلى مرسيليا ونيس جنوبا، وعملوا على نشر تجارتهم وثقافتهم ولغتهم العربية التّي أصبحت لغة عالمية ولغة العلم في العصور الوسطى، وقد أدّى النشاط التجاري إلى اكتشاف عالم آخر بالنسبة للغرب كالاستكشاف الجغرافي إلى أمريكا وتعرفوا على غرائب الكائنات والموجودات، وإقامة علاقات وصداقات وتبادل الهدايا بين شارلمان (742هـ/ 814م) والرّشيد إلى شارلمان فيلا وساعة دقاقة وطيمة مطرزة بالقصب ومفاتيح كتيسة القيامة[2] .

[1] - د/ سلامة صالح النعيمات، نوفان رضا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، الحضارة العربية الإسلامية، جميع الحقوق محفوظة للناشر هليوبوليس– القاهرة – مصر العربية، دط، 2008- 2009م ، ص 374.

[2] - المرجع السابق: ص 376.

زيغريد هونكه مستشرقة ألمانية معروفة بحبّها للعرب، فهذا لم يكن من قبيل المصادفة فالعرب والألمان تجمعهم روابط قويّة من الفكر والثقافة، واتخذت طابع الصداقة والمودّة، صمّمت كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" الّذي نحن بصدد دراسته، تكريم العبقرية العربية وتقديم الشّكر للعرب على فضلهم. بهذا العمل تعدّ من المنصفين للحضارة العربية، وما قدمته للبشرية، وبالذات للحضارة الأوروبية.

وسنحاول في دراستنا للكتاب أن نكتشف سويا بعض دسائس وكوامن ما حمله الكتاب بين دفيه محترمين في ذلك التسلسل الزمني للأحداث والوقائع وتناسق العناصر المشكلة للوثيقة أو التّأليف.

المبحث الأول: التعريف بالكاتبة.

زيغريد هونكه مستشرقة ألمانية معاصرة، ولدت في كيل يوم 26 أبريل سنة 1913م، هي ابنة الناشر هاينريش هونكه، وزوجها المستشرق الألماني الكبير شولتزا الّذي تعمّق في دراسة آداب العرب والاطّلاع على آثارهم ومآثرهم، درست علم أصول الأديان ومقارنة الأديان والفلسفة وعلم النّفس والصّحافة، عُرفت بكتاباتها في مجال الدراسات الدينيّة، فتناولت دراسة الأديان بموضوعية وتُعرف بإعجابها بالإسلام والعربيّة وذلك بعد الحرب العالميّة الثانيّة وسقوط ألمانيا حيث ذهبت مع زوجها إلى المغرب وقضت عامين في مراكش، كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية. رجعت إلى ألمانيا واستقرّت في بون لتقوم بتأليف كتبها المشهورة عن إنصاف العرب والمسلمين لا سيّما الأندلسيين، ممّا أدّى إلى تعرضها إلى حملات استياء من طرف مواطنيها حتى طالب الماسونية بتصفية جسدها، وهذا جعلها تنضم إلى بعض الجمعيات الوطنية الألمانية لكف الأذى عنها.

- ✓ تعلّمت اللّغة العربيّة وأتقنتها وأخذت في قراءة الكتب العربية والتاريخ العربي بالأخص الأندلسي.
- ✓ نالت العديد من الجوائز الأكاديمية والتقديرية والأوسمة.
- ✓ قام بعض الرؤساء والأمراء العرب بدعوتها وتكريمها.
- ✓ قامت بتقديم مقدمة مأثرة للنسخة العربية من كتابها شمس الله تسطع على الغرب.
- ✓ كشفت زيف الأحكام الأوروبية المسبقة عن اضطهاد الإسلام للمرأة.

اشتهر عنها في آخر حياتها أنّها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة حتى قيل أنّها أسلمت في آخر عمرها قبل عام أو عدة أعوام، توفيت يوم 15 يونيو سنة 1999 م بهامبورغ[1].

من آثارها نجد مايلي:

[1]- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص7.

- أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية وهو أطروحة تقدمت بها بنيل شهادة الدّكتوراه من جامعة برلين سنة 1941م.
- الرجل والمرأة: يتناول جانبا من الحضارة الإسلامية صدر سنة 1955م.
- شمس الله تسطع على الغرب: الّذي ترجم بعنوان شمس العرب تسطع على الغرب صدر سنة 1960م، وهو ثمرة سنين طويلة من البحث والدراسة .
- كتاب الله ليس كذلك: كشفت فيه عن كل الأحكام المسبقة والمغلوطة التي رويت في الغرب ضدّ الإسلام وأهله.
- التّوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم: يبرز دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا[1].

ومن آرائها نجد:

تقول زيغريد هونكه: « إنّ الإسلام أعظم ديّانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافا نقولها بلا تحيّز ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطّخه بالسواد وإذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخيّة الآثمة في حقه والجهل والبحث به فإنّ علينا أن نتقبّل هذا الشريك والصديق مع ضمان حقّه في أن يكون كما هو».

وتقول:« لم يعمل العرب على إنقاذ تراث اليونان من الضياع والنسيان فقط، وهو الفضل الوحيد الّذي جرت العادة الاعتراف به لهم حتّى الآن، ولم يقوموا بمجرّد عرضه وتنظيمه وتزويده بالمعارف الخاصة، من ثَمّ إيصاله إلى أوروبا بحيث إنّ عددا لا يحصى من الكتب التعليمية العربية حتى القرنين(16-17) قُدّمت للجامعات أفضل مادة معرفية فقد كانوا المؤسّسين للكيمياء والفيزياء التطبيقية والجبر والحساب بالمفهوم المعاصر، وعلم المثلثات الكروي، وعلم طبقات الأرض، وعلم الاجتماع، وعلم الكلام».

[1]- يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص1124.

المبحث الثاني: دراسة الكتاب.

لم يحالفنا الحظ في دراسة النّسخة الأصلية للكتاب "شمس العرب تسطع الغرب" فإلتجأنا إلى

النّسخة المترجمة في طبعتها العاشرة بسنة 1423هـ/2002م والفضل في هذا يعود إلى الأستاذين: فاروق بيضون، وكمال الدسوقي وبخصوص الجوانب الفنية للنّسخة الّتي بين أيدينا فهي تحمل المواصفات العالمية المعمول بها في مجال الطبع والنّشر وهي كالتّالي عنوان بارز مع ذكر صاحبة الملكية زيغريد هونكه المستشرقة الألمانية والنّاقلين: فاروق بيضون، كمال دسوقي بالإضافة إلى اسم واضع الحواشي والمراجعة الأستاذ: مارون عيسى الخوري، وكلّ هذا تحت إشراف دار صادر ودار الأفاق الجديدة بيروت.

وبكلمات عذبة للشّاعر جوته: رائع هو الشرق، القائم خلف الحوض المتوسّط، فالذي يحب"حافظا " ويعرفه، يعلم وحده ما أنشده "كالدرون".

يفتح الكتاب صفحاته للقارئ، وأول ما يجده مقدمة الطّبعة الثامنة بقلم النّاشر الذي يعرفنا فيها عن تاريخ صدور الطبعة الأولى والتّي كانت سنة 1964م ذاكرا الإقبال المتزايد على هذا العنوان من جهة وما لقيته صاحبة الكتاب من انتقادات نتيجة مواقفها الثّابتة، كما كانت المقدّمة للنّاشر فرصة لإظهار مكانة هذا التّـأليف الذّي تصدّر لائحة الكتب الخالدة وتمنى في مقدّمتها أن تبرز أقلام عربية وتصل إلى ما وصلت إليه زيغريد هونكه.

أمّا الكتاب فاتّخذ ثلاثة أسماء : - شمس العرب تسطع على الغرب.

- شمس الله تسطع على الغرب.

- شمس الإسلام تسطع على الغرب.

وهذا الاختلاف حدث بفعل التعصّب ففرقة ترى أنّ وجود كلمة العرب غير مناسبة ولأنّ العرب قاموا بدور موزع بريد أي دور النّاقل، في حين يرى فريق آخر أنّ هذا العمل أي الحضارة لا تمت بصلة إلى الإسلام.

أمّا الثالث فيرى أن كلمة الله لا دخل لها في الحضارة، ومن المؤرّخين من يُرجع تغير العنوان إلى الخوف من الانتقام أو حسدا من عند أنفسهم.

ليفسح النّاشر المجال لثنائي فاروق بيضون وكمال دسوقي في كلمة مشرقة "كلمتنا" وهي عبارة عن تعريف بالكاتبة والكتاب وبعض المحطّات من حياتها الاجتماعية وكذا الثّقافية وخصوصا الكتاب الّذي نحن بصدد دراسته فقد أخذ حيزا كبيرا من هذا الرّكن "كلمتنا".

ولقي الكتاب وسط هذه الضّجة نجاحا منقطع النّظير، فأعيد طبعه وترجم إلى عدد من اللّغات الأجنبية، حوالي سبعة عشر لغة من لغات العالم، كما رحّبت به الصّحافة العربية ترحيبا بالغا.

وفي الختام نتعرّف على أسرة زيغريد وحتّى البعض من مشاعرها: «ولتحس أنّها تعيش في جو قوم أحبتهم حبّا شديدا، فربطتها بهم ثقافة إنسانية خيرة وفكر شمولي معطاء».[1]

كما نجد في الكتاب مقدّمة خاصّة بالطّبعة العربية بقلم المؤلّفة والّتي جاء فيها على العموم ذكر أسباب ودافع هذا الإنتاج الفكري، والّذي ظهر في نسجه تأثرها بمنهجيّة العلماء العرب، واستغلّت الكاتبة في مقدمة الكتاب الفرصة لتقديم الشكر إلى كلّ عربي تعلّمت منه حب العرب.

وبتوقيعها الخاص: توقع مقدمة كتابهاDr. SIGHRID HUNKE بتاريخ 6أيلول 1962م.

بون ألمانية Dr· Lignd Hunke

المدخل: تتأسّف فيه المؤلّفة عن ظلم البشر للتّاريخ العربي وإقصاء الحقيقة وعدم احترام الأحداث والسّلم الزمني، ثمّ تتطرّق إلى العوامل التّي أدّت إلى عدم الاعتراف بالحضارة وبالمجهود العربي لمدة 750 عام، بسبب الوازع الدّيني العقائدي.

[1]- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص8.

لتقدّم لنا في آخر المدخل نتيجة واحدة شاملة وحاملة لرسالة، مفادها أنّ الحضارة بناء تعاوني: «بساط الحضارة بساط نسجته وتنسجه أيد كثيرة وكلّها تهبه طاقتها وكلّها تستحق الثّناء والتّقدير».[1]

التّصديرات:

رصّعت الكاتبة كل كتاب بتصدير كان مثابة ياقوتة فكرية تتوسط العقد فتزيده جمالا وحسنا. فنوّعت في طرزه بين الشعر والحكمة والحديث...

مراعيّة في وضع التّصدير المضمون للكتاب والانسجام مع الموضوع.

الكتاب الأول: لرفاهية حياتنا اليومية.

حيث كان تصديره:(على بساط من نبات المسك والعنبر يتثنّى، وتصفّر الريح خلاله، كانت أقدامنا تسير...) - وولغرام فون ايشنباخ -

قسمت الكاتبة هذا الكتاب إلى أربعة فصول عنونتها كالتّالي:

1- أسماء عربية لحاجات عربية.
2- أوروبة الجائعة في ظلّ التّجارة العالمية.
3- البندقية محطّمة الحصار.
4- في مدرسة العرب.

بخصوص ما جاء في الكتاب فإنّ الكاتبة تحدّثت في الفصل الأول عن إلمام الحضارة العربية وشموليتها والّتي لم تترك جانبا من الحياة إلّا وتعرّضت إليه وأثرت فيه تأثيرا كبيراً بدءاً بالأسماء والمسمّيات العربية التّي استعملها ويستعملها الغرب إلى حدّ الآن:«هل تشعرون حين تدخلون عطارةDroguerie بأنّكم تقفون أمام اكتشافات عربية فتجارة العقاقير ذاتها تجارة عربية».

[1]- المصدر السابق: ص14.

لتدلّنا دلالة واضحة عن مدى تأثير الحضارة العربية على أوروبا، مستشهدة بأمثلة لكثير من المواد بأسماء عربية خالصة.

مثل: القفة (Koffer) ، القند (Kandis).

وما قدّمه العرب في مجال الأسماء والمسمّيات يدعو إلى الاعتراف بفضل العرب، «وكم أخذنا عنهم من حاجات، وأشياء زيّنت حياتنا ».[1]

لتنتقل الكاتبة بعدها إلى الفصل الثاني والّذي هو عبارة عن عنوان تاريخي يجسّد الأزمة الّتي مرّت بها أوروبا المتمثلة في المجاعة في ظلّ التّجارة العالمية وكانت أوروبا تنتظر الفرج وبفارغ الصّبر مدّ يد العون والمساعدة: «وكانت المرافئ تبدوا حينئذ مقفرة، والمستودعات فارغة عارية، والأقبية خالية».

«في حين كان الشّرق يتمتّع بتجارة واسعة المدى مترامية الأطراف تكاد تختفي البلاد المسيحيّة في ظلّها، تجارة تمتدّ عبر بحر الخزر والفولجا إلى الشّمال شاملة كلّ الشّواطئ وجزر بحر البلطيق وقوافل الحمير الّتي ناءت ظهورها تحت الأحمال».

واقع عاشته أوروبا أظهرته المؤلّفة ناقلة في الوقت نفسه تعجّب الغرب آنذاك من العملة الّتي كانت متداولة وبخطّ كوفي واسم عربي بتاريخ 392هجرية.

وأمام هذه الفاجعة لم يكن لأوروبا سوى منفذ واحد من جهة الشّرق حيث البندقية وجنوا والأندلس أصبحت من أهم المراكز والبوابات الّتي راحت تصل منها التّجارة والثّقافة العربية إلى أوروبا الغافية.

[1]- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص19،20.

« إنّ الإسلام قد انتشر وبانتشاره أصبح البحر حدّاً فاصلا بين عالمين اثنين فجاءت البندقية لتمدّ البحر من جديد، جسر مكنّ بلاد الشّرق بكنوزه النّادرة حينا والمجهولة أحيانا من غزو بلاد الغرب الجائعة».[1]

ويأتي الفصل الأخير من هذا الكتاب لتواصل فيه الكاتبة الإشارة إلى الدور الّذي لعبته التّجارة في توجه الغرب نحو العلم والمعرفة والصّناعة، وفي هذا الباب تقول: « كما أنّهم يدينون لغولدن بفضل آخر وباقتباس وحي عربي حمله الصّليبيّون معهم وأدخلوه إلى فرنسا عام 1150م وألمانيا عام 1170م ونعني به شعار السّلاح».

حقيقة أخرى أوردتها المؤلّفة يرجع الفضل فيها إلى العرب وحدهم:«هي بناء المطاحن لقد كان اختصاصاً عربيا حقّقه العرب أنفسهم ومنحوا أوروبة كلّ أنواع المطاحن المائية والهوائية».

بالإضافة إلى صناعة الورق الّتي عرفت تطوّراً ملحوظاً على يد العرب، وسار موكب صناعة الورق المنتصر هذا مطوّقا بسورية، حيث ترك وراءه في دمشق وطرابلس قواعده، أي مصانعه.[2]

لتعرّج بعدها على أنّ العلماء العرب وضعوا نظرية تركيب البارود المندفع وغيرها من الصّناعات والابتكارات كالصّواريخ والقذائف والبوصلة، في مجال الملاحة ولعلّ ما ذكرته الكاتبة خير شاهد: «وهناك أكثر من تعبير عن فنّ الملاحة يشهد بذلك، تعابير عرّفت أوروبة عليها تجارة البحر المتوسط، كأسماء وأنواع السّفن مثلا: دو Dau، كارافيل Karavelle ..» لتنهي كتابها الأول بدور الملاحة والتّجار والصّليبيّين والسياح الّذين شكّلوا كلّهم جسرا للتّواصل.

[1]- المصدر السّابق: ص26، 28.
[2]- المصدر نفسه: ص30، 42، 46،52.

الكتاب الثاني: العالم والأرقام.

وجاء تصديره (ولكن انتبه أيضا لي، أنا الصفر لا ينطبق بي. دائرة مستديرة متكاملة، لي قيمتي في المعاملة. بي يستطيع الترقيم، فتتنفّح الأعداد وتستقيم.) ترجمة لأبيات عن اللاتينية من أشعار القرون الوسطى.

والّذي رتّبته المؤلّفة في أربعة فصول منسجمة.

1- ما ورثناه عن الهند.
2- البابا يحسب بالعربية.
3- تاجر يعلّم الغرب.
4- الصّراع المرير.

لتبدأ الكاتبة في الفصل الأول بالإشارة إلى دور العرب العظيم في التّعداد والأرقام وطريقة كتابتها، والنّطق بها وكيف انتقلت هذه الطّريقة من اللّغة العربية إلى معظم لغات العالم في العصور الوسطى وما تزال، كما تعرّضت في نفس الفصل إلى استغلال العرب للإرث الهندي وتطويره في المجال الرّقمنة والأعداد والرموز، وتعود بنا إلى زمن الصراعات خاصة صراع الخوارزميين وأنصار أباكوس كما تبينه الصورة التّي زيّنت بها هذا الفصل «ولم يقتصر الخوارزمي على تعليم الغرب كتابة الأعداد والحساب، فقد تخطّى تلك المرحلة إلى المعقّد من مشاكل الرياضيات، ومازالت القاعدة الحسابية (Algorithmus) حتّى اليوم تحمل اسمه كعلم من أعلامها...، فانتشرت الأرقام العربية التسعة يتقدّمها الصفر في كلّ أنحاء أوروبا»[1].

وبدون هوّة تنتقل الأديبة إلى عنوان الفصل الثاني البابا يحسب بالعربية لتقدّم لنا شخصية البابا سلفستروس الذّي جارى المسلمين في معتقداتهم وبقيت دائما محاطة بالشّبهات، «لقد كان البابا يحسب بالأرقام التسعة الّتي تعلّمها عن العرب على الحدود الإسبانية، إنّه كان يهرب ليلا من

[1]- المصدر السّابق: ص76.

الدّير ليتعلّم على يد العرب»[1] وبهذا كان أول رجل في الغرب يتعلّم الأرقام لقد أحرز جربرت مجدا لأنّه أول من نقل الأرقام العربية إلى الغرب.

كما عرّجت في نهاية الفصل لتذكّر بأثر العرب وفنّهم في الكتابة من اليمين إلى اليسار عند علماء الغرب، لتقدّم لنا في الفصل الثالث شخصية تاريخية استطاعت بفضل احتكاكها التّجاري أن تلعب دوراً بارزاً في نشر العلوم الرياضية وتتمثّل هذه الشّخصية في "ليوناردو" دون أن تغفل عن تكوينه وتعلّمه الّذي تلقّاه من معلّمه العربي الّذي تعلّم على يده مادّة الحساب لتصل بنا في نهاية المطاف إلى استنتاج على أنّ "ليوناردو" أصبح فيما بعد واحداً من القلائل الّذين كتبوا في الرياضيات وعالم الأرقام: « بعد قراءة تلك المخطوطات، لا ندري بأنّ لغة نكيل له الثّناء، إنّ الكلمات لتعجز عن إكرامه»[2].

ورغم قصر الفصل إلّا أنّ المادّة التّاريخية التّي عرضتها الكاتبة تعتبر دسمة، ركّزت في هذا الفصل "ليوناردو" والتّاجر المتجوّل وتأليفه لكتاب الهندسة مستفيدا من رحلاته التّجارية ومعاملاته مع العرب.

أمّا الفصل الرابع والمبوّب بالصّراع المرير فإنّ الكاتبة أوضحت فيه المعاناة التّي وجدها النّاس والصّعوبات الّتي اعترضتهم في تعلّم الحساب خاصّة بعد فكّ لغز الصفر0 ومن هنا بقي الصفر يمثّل دوره الخطير في تكوين الأعداد.

«إنّ الصفر اللّعين بقي سرّا غامضا على عامّة النّاس فهمه لا يعني شيئا لكنّه يملك قوّة سحرية»[3]. وهكذا راحت طريقة الحساب بالأرقام وعلم الرياضيات ينتشران في أوروبا بالرغم من الصّراع المرير من بعض شعوب مقاطعاتها في تلك الفترة.

وكان عنوان الكتاب الثاني اسما على مسمّى حيث اتّسم بالتّناسق والانسجام التّام مع المضمون.

[1]- المصدر السّابق: ص 84.
[2]- المصدر نفسه: ص 92.
[3]- المصدر نفسه: ص97.

الكتاب الثالث: السّماء التّي تظلّلنا:

اختارت تصديرا فائقا في الانسجام:(إنّ الإنسان ليصل، عن طريق علم النّجوم، إلى برهان وحدة الله ومعرفة عظمته الهائلة، وحكمته السامية، وقوته الكبرى، وكمال خلقه) البتاني 877م- 918م.

تفرّع عنوان الكتاب إلى خمسة عناوين:

1- عالم الفلك موسى وأولاده الثلاثة.

2- الابن الأول: عالم ميكانيكي.

3- الابن الثاني: عالم فلكي.

4- الابن الثالث: عالم الرياضيات.

5- علم التنجيم .

خصّصت المؤلفة هذا الكتاب للكلام عن عائلة بأسرها عائلة العالم الكبير"موسى وأولاده"، وبإسهاب راحت تذكر مناقب كلّ فرد من العائلة مذكّرة في الوقت نفسه بازدهار وانتشار علم الفلك بشكل واسع عن طريق العلماء العرب، الّذين برزوا خاصة في العلوم المتممة كالميكانيك والرياضيات أمثال: "موسى بن شاكر" الّذي عاش في بلاط الخليفة المأمون حين وصلت الإمبراطورية العربية الإسلامية إلى عصرها الذّهبي وكيف أنجب هذا العالم ثلاثة أولاد أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء.

ونجد الفصل الثاني من الكتاب تكملة لسابقه فقد أبرزت فيه أديبتنا اهتمام العرب بالآلة وخصوصا الآلات الفلكية، وما ورثوه عن اليونان كان بدائيا وبوازع ديني انطلق العرب يبدعون ويبتكرون. «إنّ كلّ مؤذن كان بحكم مهنته عالما فلكيّا صغيرا له معرفة عملية بعلم تحديد الأوقات وهو مسوق للقيام بحسابات دقيقة لمعرفة أوقات ظهور القمر وحساب مواعيد الإفطار ومدّة الصيّام»[1]، داعيّة مع نهاية الفصل إلى الإقرار بحقيقة هامّة تقول :«إنّ العرب لم يطوروا المحلّقات الفلكية

[1]- المصدر السّابق: ص131.

تطويرا فحسب بل إنّهم زادوا عليها ثلاث حلقات مكّنتهم من القيام بقياسات أفقية وقد انفتحت آفاق عديدة أمام العرب فصنعوا الساعات التّي تسير على الماء وعلى الزئبق والشمع المشعل»[1]، لقد بنى العرب المراصد الجوية وأشهرها مرصدا المأمون في بغداد ودمشق، ولم تأت هذه الانجازات هكذا بل كان التّوفيق مرتكزا على تركة بطليموس الّتي استغلّت أحسن استغلال، وتنهي المؤلفة بموقف كلّما شاهدناه أو وقفنا أمامه إلاّ وكانت لمسة العرب حاضرة .

«كلّما رأينا ساعة في مبنى البلدية، وما يرافق دقاتها من ظهور شخوص صغيرة متحرّكة تذكرنا بما فعله العرب في الماضي البعيد، حبّا بالألعاب الميكانيكية»[2]، كان الفصل الثالث من نصيب الابن الثاني والذي كان عالما فلكيا نشأ في أسرة نادرا ما تكون.

إنّ الأبحاث التي حققها العرب في ميدان علم الهيئة والتنجيم، تلبية لحاجاتهم اليومية تطورت تطورا كبيرا حتى أصبحت أسسا جديدة لعلم الفلك وهذا ما ساعد الابن الثاني لموسى على المضي قدما نحو المجد، لقد توصل فلكيو بغداد، في نهاية القرن العاشر إلى أقصى ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان في رصد السماء وما دار فيها من كواكب ونجوم بالعين المجردة دون اللجوء إلى عدسات أو منظار لقد كانت فترة أبناء موسى مليئة بالنجاحات بفضل جيل من العلماء خاصة وإنهم التفتوا إلى الوراء آخذين ما تركه السابقون تناول العرب زيج بطليموس وكتبه وآثار غيره من العلماء اليونانيين بالنقد والتنقيح بغية تصحيح ما ورد فيها من الأغلاط، وزيادة ما أهمل، وإتمام ما لم يتم، وفي نهاية الفصل تضع إنسان هذا العصر أمام نتيجة كان توصّل إليها فليكون قدامى،« وهكذا بقيت الأرض الثابتة في مكانها المزعوم في وسط الكون، كما كانت بالنسبة إلى"أبخرس" وقد كان العرب كأبرخس تماما».[3]

عالم ثالث تقدّمه الباحثة في الفصل الرابع من الكتاب الثالث بعنوان: الابن الثالث عالم الرياضيات تفتح الكاتبة هذا الفصل بقولها: «لقد كان العرب أساتذة خلّاقين في علم الرياضيات على خلاف الرومانيين الذّين لم يأتوا، في هذا الميدان إلّا بنتائج قليلة ضعيفة» وهذا الكلام يبرز مدى التّقدّم

[1]- المصدر السابق: ص135.
[2]- المصدر نفسه: ص142.
[3]- المصدر نفسه: ص 156.

الحاصل والغنيمة الكبرى التّي غنموها من أبحاثهم وأعمالهم لتفحص لنا عن ذخيرة الحسن صغير أبناء موسى، فبفضله استطاع العرب أن يجدوا فروعا علمية جديدة. فاقت ذروة الإغريق لتواصل الحديث عن ما وصل إليه الحساب ومنه علم الجبر من تأليف للكتب ومخطوطات:«إنّ أسلوب الرياضيات الذي عرّفه الغرب عن طريق العرب، كان في حقيقة أمره فتحاً مبيناً»[1] .

مكسب آخر كشفت عنه الكاتبة كان للعرب الفضل فيه، لقد أوجد العرب الحساب العشري بعد الفاصلة وبأمثلة حية $2\frac{8}{100}$ إلى 2,08

تحويل الكسر إلى عدد عشري وهذا التّحويل أصبح أساسا في علم اللوجاريتم إنّ علم الجبر لا يزال حتّى اليوم يحتفظ بطابع عربي يتجلّى في ال"x" رمز المجهول في المعادلة ما.

علم آخر هو المثلثات لم يخضه الإغريق ولم يعرفوا عنه شيئا وتخرج من هذا الفصل بهدوء تاركة عبارة مدوية. كلّ ذلك أفضال عربية على الغرب ارتقت بأوروبة إلى مكانة مكّنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة من أن تستزعم العالم في ميادين العلوم الطبيعية، في الفصل الأخير هو الخامس من هذا الكتاب والذّي خصصّته صاحبة الكتاب لعلم التّنجيم عند العرب، وما لقيّه من رفض وقبول خاصة في ظلّ حكم ورأي الكنيسة كان ميل النّاس في أوروبة ضعيف للاهتمام بأمر النّجوم والكواكب في السّماء على اعتبار أنّ قانون رهبانيّتهم كان يمنع التعاطي بهذا الأمر، لتكتشف الكاتبة تخوف الغرب من هذا العلم عكس العرب الذّين لم يقفوا موقف الخوف والخشية بل غاصوا في أعماقه باحثين مكتشفين أسراره فالعربي ليس نزعة أو معنى سحرية خطيرة بل أخذها مأخذ الجدّ، لحاجته الدّنيوية.

وتشير مع نهاية الفصل إلى ما وصل إليه علم التّنجيم في العصر الذّهبي لقد أنجب هذا العلم العالم الكندي وهو الفيلسوف الوحيد في هذا التّخصصّ وله كتاب عن التّنبؤات الجوية.

[1]- المصدر السابق: ص 159.

الكتاب الرابع: الأيدي الشّافية.

بتصدير مطول مقتبس (...لذلك استُقبلتْ كتب ابن سينا والرازي وابن رشد بالثقة نفسها الّتي استقبلت بها كتب أبو قراط وجالينوس، ونالت حظوة قصوى عند النّاس إلى درجة أنّه إذا ما حاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الاستناد إليها، اتُّهم، على أهون سبيل، بالعمل على الإضرار بالمصلحة العامة..) أغريبا فون نتيسهايم .

هو أطول كتاب من حيث الحجم ويتضمّن تسعة فصول كاملة تمحورت كلّها حول الطّب وعنوان الكتاب يشير إلى مضامين فصوله.

1- الفرنجة وفن الشّفاء الأعجوبي.

2- مستشفيات مثالية وأطباء لم ير لها العالم مثيلا.

3- أحد أعظم أطباء الإنسانية إطلاقا.

4- قيود القدامى.

5- سيراً في السبل الخاصّة.

6- كتب تصنع التاريخ.

7- يقظة العرب.

8- هكذا تكلم ابن سينا.

9- نصب تذكاري للعبقرية العربية.

تعرضت الكاتبة في هذا العنوان إلى جملة من الأحداث والوقائع والحقائق ففي هذا الفصل الأول " الفرنجة وفن الشّفاء الأعجوبي"، أعطت الكاتبة فسحة للحديث عن الطّب عند الفرنجة والّذي كان عبارة عن شعوذة ودجل يعتمد على الجانب الكنيسي مركز الكنيسة طب اقتصر على أيد توضع وشيطان يُطرد وصلاة تقام مبرزة في نفس الفصل سلطوية الكهنوت والرّهبان، وسيطرة

الكنيسة وحركها لهذا النّشاط لأنّهم كانوا يرون أنّ الخطيئة هي مسبّبة الشّر وباعثته، لقد اعتبر التّعاطي بعقاقير غير عقاقير الكنيسة، وأدوية الرّوح، أو ممارسة مهنة الطب وإجراء العمليات الجراحية بالآلات دون مركز الكنيسة، ودون جلال الرّوح وقديستها، وتعزّز الكاتبة كلامها عن طب الفرنجة بهذه الوصفة العربية، «إن كان بينكم المريض فأخبروا شيوخ عشيرتكم ليقيموا الصلاة عليه بعد أن يمسحوا جسده الزّيت الطاهر باسم السيد المسيح لأنّ صلاة المؤمن مستجابة ومنقذة في مخالب الأدواء» وتدعوا القارئ لزيارة مستشفيات الفرنجة، «كان ثمة قش كثير موضوع على الأرض تزاحم عليه المرضى... وأقدام بعضهم إلى جانب رؤوس الآخرين... الأطفال قرب الشّيوخ والرجال بجانب النّساء بشكل يدعوا إلى الإعجاب.. ولكنه كان حقيقيا» لتنتقل وتنقلنا مباشرة في الفصل الثاني إلى مستشفيات العرب وأوضاعها بغية المقارنة والوقوف على مدى تطور هذه المؤسسة في عهد عرف تطوراً ملحوظا من تأسيس وإقامة وتجهيز وتنويع وخدمة في زمن السلطان المنصور"قلاوُون" «إنّي قد وهبت هذا المستشفى إلى أندادي وأتباعي وخصّصته للحكام والخدم للجنود والأمراء والكبار والصّغار، للأحرار والعبيد، للرّجال والنّساء على السّواء»[1].

متطرّقة بعد ذلك إلى نظام التّدريس الطبي وحتّى كيفية الحصول على الشّهادة والدبلوم مع ذكر تشكيلة الفريق الطبي للقيام بعملية جراحية، هناك طبيب يشرف على التّخدير بواسطة الحشيش والأفيون والزُؤان وستّ الحسن هيوسيامين . وهناك طبيب آخر يراقب النّبض، وأمّا الثالث فيقوم بالعملية الجراحية ويعمد إلى الشقّ بعناية فائقة ومساعد يمسك له موضع الجرح، بآلة ذات شقين. ليظهر الفرق جليا بين ما كان عند الفرنجة وما هو عند العرب.

بمقدمة عربية خالصة أرادتها الكاتبة أن تكون طرقا لفصل الثالث قبل 600عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوّى إلا على مؤلّف واحد وهذا المؤلّف كان لعربي الكبير.

مما يدل على التّأثير العربي من جهة والقيمة العلمية الدّي يحويها هذا الكتاب:« لقد اضطرّ لويس الحادي عشر إلى دفع اثني عشر ماركا من الفضّة ومائة تالر من الذهب الخالص لقاء استعارة

[1]- المصدر السّابق: ص 218، 225، 229.

هذا الكنز الغالي الذّي ظلّ المرجع الأساسي لمدّة أربعمائة سنة بدون مزاحمة، مما دفع بالبارسيين إلى إقامة نصب تذكاري بمدرسة الطب وأوصاف ونعوت لصاحب هذا الانجاز- معجزة- أمير الأطباء. أبو قراط العرب منقذ المؤمنين، ولأنّ مناقب الرجل فرضت على الكاتبة التصريح والبوح بكلّ الأسرار بل وأجبرتها ثقافتها على أن تخصص جانبنا من هذا الفصل للتّعريف بالرجل وتقديمه إنّه الرازي أو رازاس كما سمّاه الغرب، لتختم فصلها قائلة عنه: «هو الموسوعي الشمولي الّذي استوعب كلّ معارف سالفيه في الطب وهضمها وقدمها للإنسانية أحسن تقديم».

"قيود القدامى" عنوان اختارته المؤلّفة لفصلها الرابع الّذي تكشف فيه عن العراقيل التّي فرملت تقدّم الطب والعلوم وهذا بسبب الاتّجاه الفلسفي، جاء الفلاسفة الكبار من أفلاطون إلى أرسطو وانتصر معهم الاستقلال المنطقي مرة أخرى على التّجارب السريرية فأعطوا الطبّ مظهرا علميا ثابتا ولكنّهم في الواقع أدخلوه في مسالك خاطئة ظلّ فيها تائها فكان هذا الطرح مثابة قيود كبّلوا بها عالم الطب وتعود بنا الكاتبة لتبرز الدّور الّذي لعبه العلماء العرب الدّين نجحوا وطفا كيلهم مع أقرانهم الإغريق، وخاصّة ابن النّفيس الّذي جاء بنظرية الدّورة الدموية ووصل إلى هذا الاكتشاف العظيم في تاريخ البشرية وتاريخ الطب.

بدون انقطاع ولا توقّف تواصل الكاتبة حديثها في الفصل الخامس عن الطب الدّي شغل العام والخاص واشتدّ الصراع بين قطبين عربي وأوروبي، جالينوس وإن اشتهر بتحليلات رائعة صائبة، إلّا أنّه صرف طاقته الجبّارة في تسخير الحقائق لخدمة نظرياته وحبّها في بنائه الضّخم مهما كان الثّمن، عكس العرب الدّين كانوا ينظرون إلى الأمور نظرة علمية بحتة تدعمها التجربة ويغذيها البحث، وهذا دليل على ثقافة العرب آنذاك وتأخر النّصارى الفكري الدّين ساروا في اتّجاهات وسبل خاصّة، وصادف هذا التّباعد في التّفكير انتشار مرض الطاعون بالشّكل المخيف في أوروبا ما جعل المختصّين أمام واقع لإثبات جدارتهم وتفوّقهم، فالأوروبيون يرون أنّ الطّاعون ناتج عن تأثير الأجسام السّماوية أو عن غضب الله من أعمالنا الآثمة فليس هناك من علم إنساني يكافحه.

أمّا الطب العربي فكان ينظر إلى هذا نظرة علمية تدعوا إلى البحث والتّنقيب وهو ما ذهب إليه ابن الخطيب في رسالة علمية عن العدوى وانتشارها. هكذا اتّخذت السلطات تدابير وقائية ضدّ العدوى خاصّة في المدن الإيطالية ولقد وفّق العرب إلى حدّ بعيد في هذا ومع هذه النّجاحات الفكرية والمعارف المبتكرة تواصل الكاتبة سرد قصّة التاريخ العربي في الفصل السادس الّذي يحمل عنوانا يندى له الجبين "كتب تصنع التاريخ" كيف لا وهي تتحدث عن الأقلام وعبقرية أصحابها الّذين كانت لهم اللّمسة البارزة في صناعة مجد وتاريخ البشرية، «كتب ومخطوطات أصبحت مصدراً ومرجعاً فهذا كتاب المنصوري للرازي لا يدع حاجة إلّا وتكلّم عنها...ولكنّ الحاوي كامل كما يجب أن يكون الكتاب»[1].

لقد استطاعت كتب العرب في ذلك التاريخ أن تلعب دوراً ريادياً، ولم تفوت الكاتبة الفرصة لتذكر لنا أهمّ المؤلّفات.

1- التصريف لمن عجز عن التّأليف.

2- التيسير في المداومة والتّدبير.

3- كتاب الكليات في الطب.

4- تقويم الأبدان.

5- القانون.

ومؤلّفات أخرى لا يتّسع المقال لذكرها وحصرها وتختم أديبتنا الفصل قائلة: «ذلك الكتاب الّذي كان له أعظم الأثر في بلاد الشّرق وبلاد الغرب على حدّ سواء قرونا طويلة من الزمن بشكل لم يكن له أيّ مثيل في تاريخ الطب وتخصّ هنا كتاب القانون لأمير الأطباء الرئيس ابن سينا».[2]

بدأت الكاتبة الفصل السابع بتعيين وتحديد المكان الّذي تدور فيه هذه الرحلة الفكرية "لزيغريد هونكه " الكلّ يعلم: «خالدة هي سالرنو، لتنطلق بعدها إلى فضح مهزلة قسطنطين المتمثلة في

[1]- المصدر السّابق: ص275، 285.
[2]- المصدر نفسه: ص289.

سرقة وتبني الإنتاج الفكري الخاص بالطب حيث نقل المخطوطات العربية مغيراً أسماء مؤلّفيها إلى ايطالية ونسبها إلى نفسه في زمن لم يكن النّاس شديدي الحرص والمحافظة على حقوق التّأليف»، ولقي هذا العمل الشنيع انتقاداً شديد اللهجة من قبل مؤرخ الطب الفرنسي" دار مبارغ" ومع هذا فقد تمّ تكريمه لفضله العظيم بنقل آثار العرب إلى أوروبا، فكان أن اقترح إقامة نصب تذكاري له على قمّة الجبال المشرفة على سالرنو لينطلق العرب بعدها في سيل من التّرجمة لم يكن أحد بوسعه أن يوقف زحفه أو يمنعه عمّ اسبانية وصقليّة وشمالي إيطاليا.

ما دام الكتاب يتحدث عن الطّب فإنّ الكاتبة واصلت على نفس المنوال في الفصل الثامن تحت عنوان "هكذا تكلّم ابن سينا" منصفة الرجل وذاكرة ما لاقاه من شهرة في بلاد الغرب وفي مراكز العلم الأوروبية، زحف طلّاب العلم من كلّ حدب وصوب إلى بادوا لرؤية تطبيقات نظريات ابن سينا، وتقوّي طرحها: «فباسم ابن سينا أيضا سار علم الجراحة في أوروبة يداً بيد مع علم التشريح ومهّد السبيل للاكتشافات الطبية العظيمة الّتي حقّقها علم الطب الحديث».[1]

وما وصل إليه ابن سينا كان يحق عليه التّكريم هذا ما جعلته عنوانا للفصل التاسع بعنوان:"نصب تذكارية للعبقرية العربية" لقد كان هذا الفصل إنصافاً من الكاتبة أولا حيث ذكرت إسهامات العرب الغزيرة في ميدان الطب والأدويّة من وصف وعلاج وصناعة للدواء واهتمام بالعقاقير وتطوير لأساليب البحث والابتكار، لقد وقف العرب إلى تحقيق اكتشافات حقيقية علمية في علم الكيمياء، واتّسمت هذه الفترة بالفتوحات العلمية بفضل جيل من العلماء أمثال: الرّازي، جابر بن حيّان، البيطار. وغيرهم وكان لهذا وقع وتأثير على الغرب وأوروبة ولا يزال هذا الوقع حاضراً شاهدا على إنجازات العرب: «إنّ كلّ مستشفى مع ما فيه من ترتيبات ومختبر وكلّ صيدلية ومستودع أدوية في أيّامنا هذه، إنّما هي في حقيقة الأمر نصب تذكارية العبقرية العربية».[2]

[1]- المصدر السابق: ص310.
[2]- المصدر نفسه: ص334.

الكتاب الخامس: سلاح المعرفة.

صدرته كالتّالي:«اطلب العلم من المهد إلى اللحد»،«تعلموا السحر ولا تعملوا به»، «اطلبوا العلم ولو في الصين»، «حبر الطالب أقدس من دم الشهيد».

قدّمته الكاتبة في تسعة فصول معنونة ومرتّبة كالتّالي:

1- المعجزة التّي حققها العرب.

2- الغرب يسير في طريق مظلم.

3- منهج المنتصرين.

4- طلب العلم عبادة.

5- عملية انقاد ذات معنى كبير في تاريخ العالم.

6- التّرجمة من حيث هي عامل حضاري.

7- الشّغف بالكتب.

8- شعب يذهب إلى المدرسة.

9- هدايا العرب للغرب.

بعنوان يدلّ على عظمة العرب تفتتح المؤلّفة الفصل الأول "المعجزة التّي حقّقها العرب" لتعود بأذهان القارئ إلى سنة ألف للميلاد، وتشير إلى النّتائج المذهلة التّي وصلت إليها الحضارة فهو فصل تقييمي لمرحلة تاريخية سابقة وفي أماكن متفرّقة جغرافيا، «فهذه الأندلس تجتذب طلّاب العلم، وفي القاهرة رتّب مئات العمال والفنيّين في مكتبة الخليفة مليونين ومائتين من المجلّدات... انتاج غزير من المؤلّفات والمجلّدات في شتّى المجالات نشرها ابن النديم باللّغة العربية»[1]، هذا الزخم والتّراكم المعرفي جعل الكاتبة تتساءل ما هي المقومات التّي احتاجها هذا الشّعب ليبعث

[1]- المصدر السّابق: ص353.

مثل هذا البعث؟ ليأتي الجواب من السّائل: «من أهمّ عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشّعوب من سماحتهم، حتّى إنّ الملك الفارس كبروس نفسه قال: «إنّ هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين»[1]، لتنهي فصل المعجزة بتخمين جاء منه «لو لم يخلق أبناء الصحراء في زمن وجيز، لأدركت الحضارة نهايتها...» تواصل الكاتبة نسجها اللّغوي لتطرق باب الغرب الّذي كان يسير في طريق مظلم حسب عنوان الفصل الثاني وهنا تقف المؤلّفة وقفة نعي وحسرة وتأسّف على انهيار الحضارة الغربية بسبب التعصّب المسيحي والتقليل من قيمة العلم، كان هدف المسيحية الجديد الّذي منحته للفكر قد قلّل من قيمة العلم والمعرفة والبحث، ترى الكاتبة أنّ عدم الاهتمام بالعلم أجّل ميلاد الحضارة الغربية « لقد اتّخذ المسيحيون الكنائس وما تبقّى من فلسفة وعلم، مادة لخدمة أهداف الدّيانة ممّا عجّل لهم بالتّشتيت والتّلاشي والسير في طريق مظلم» هكذا اختفت مراكز الحضارة الإغريقية واحداً إثر واحدٍ وأقفلت آخر مدرسة للفلسفة في أثينة عام 529م وأحرقت في روما مكتبة البلاتين وهدم ما تبقّى من أثار أبنية القدماء.[2]

آية قرآنية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3] كانت مفتاح الفصل الثالث من هذا الكتاب سلاح المعرفة، فصل أظهرت فيه أديبتنا المنهج الّذي سلكه العرب للوصول إلى حضارة عريقة رغم قوّتهم وانتصاراتهم وعزّزت طرحها برسالة بطريك بيت المقدس لأخيه بطريك القسطنطينية عن العرب: «إنّهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف».[4]

لقد أثّرت هذه الفروسية العربية تأثيرا كبيرا على الجرمان بمنهج اِتّسم بالتّسامح والعفو، عاشت على إثره الشّعوب في انسجام ولأول مرّة يتحرر أصحاب المذاهب المسيحية، لقد استطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته لا بالتّبشير وإيفاء البعثات وإنّما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد، وهذا هو نهج المنتصرين.

---

[1]- المصدر السابق: ص357.
[2]- المصدر نفسه: ص362.
[3]- سورة البقرة، الآية:256.
[4]-- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص364.

إذا كان انطلاق الكاتبة في الفصل الثالث من آية فإنّ الفصل الرابع أفتتح بحديث يحث على العلم:«اُطْلُبُوا العِلْمَ مَنَ المَهْدَ إلى اللَّحْدِ»، القاضي بأوامر طالب العلم هذا العلم الّذي كان سببا في ظهور وازدهار الحضارة، وهذا نقيض ما كانت تدعوا إليه الكنيسة وكهنتها وهذا لم يكن إنقاذا لحضارتهم السّابقة بقدر ما كان دمارا وخرابا استغله العرب وأسسوا على أنقاضه حضارة شامخة، بفضل الإقبال والاحتكاك بالآراء المختلفة التّي منحت الحركة الفكرية حيوية دائمة وحمت الإسلام من الجمود وأجبرته على التّسلّح بالمعرفة ويتطور بالقوى العقلية.[1]

في الفصل الخامس الذّي عنونته الكاتبة ب"عمليّة إنقاذ" ورغم ميزته بالقصر إلّا أنّ مضمونه يوحي إلى عنوانه الّذي اختير بحكمة، وتعرّضت فيه أستاذتنا إلى دور العرب في إنقاذ الكثير من تاريخ حضارة الشّعوب «إنّ ما قام به العرب لهو عمل إنقاذي له مغزاه الكبير في تاريخ العالم، وإنّ حضارة قد هوت وتحطّمت وكانت على وشك الفناء، ويعود الفضل في عملية النّجاة إلى ما قام به المأمون ومطالبته بتسليم المخطوطات وأعمال الفلاسفة القدماء الّتي تتمّ ترجمتها إلى العربية كتعويضات عن الحرب، إنّها أيضا أسلحة تساهم في بناء المجد وبتسلسل رفيع المستوى تنتقل الكاتبة إلى عنوان الفصل السادس "التّرجمة من حيث هي عامل حضاري" فصل يعدّ تكملة لسابقة أبرزت فيه الكاتبة دور التّرجمة في عملية الإنقاذ للحضارة، «لم يكن ما أنقذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف والأقبية بعيدا عن النور والهواء». لقد تُرجم كلّ ما تحصّلوا عليه إلى لغة القرآن، لغة مفهومة لدى الجميع لغة حية تتفاعل مع الحركة الثّقافية، وتواصل الكاتبة حديثها عن المجهودات المبذولة في هذا الموضوع، لقد خاض العرب كفاحا رائعا من أجل بعث فكرة قديم لتزين فصلها بأسماء كانت كالنّجم السّاطع في سماء التّرجمة، فهذا المنصور يأمر بترجمة الفلك"السند هند" من الهندية إلى العربية وأن يؤلّف كتابا يشرح فيه للعرب سير الكواكب، والمأمون الّذي أسّس أكاديمية للترجمة وتبعة في أعماله خلفاؤه من بعده، أمّا حنين بن إسحاق فكان رائدا في هذا المجال:«وتمتع حنين لمعرفة واسعة في كلّ فروع المعرفة، فكان سيد المادة التي يترجمها»[2]، وكانت نهاية الفصل لها دلالة على عظمة المترجم العربي، ولم يمت حنين إلّا

[1]- المصدر السّابق: ص373.
[2]- المصدر نفسه: ص383.

وقد أتمّ ترجمة أغلب أعمال الكلاسيين وهكذا سار الدرب، ترجمة الكتب توحي بالشّغف بالكتب هذا ما رأته الكاتبة مناسبا كعنوان للفصل السابع، وضعت الكاتبة أصبعها على ميزة سادت العرب قديما، وهي الإقبال على الكتب...«وأقبل النّاس في البلدان العربية على اقتنائها بلهفة متزايدة لم يعرف لها التاريخ من قبل مثيلا»، وبذلك تريد الكاتبة أن تبرز الأهمية التّي أعطاها العرب للكتاب، حيث كان الثّراء يقاس بمدى ما يقتنى من كتب ومخطوطات ولتجعل المتصفّح للكتاب أمام مقارنة بين الماضي والحاضر فالكتاب كان مثابة السيارة الفاخرة اليوم تقول الكاتبة:«لقد نمت ميزة الرغبة نمو العشب في الأرض الخصبة فمكتبة النّجف بالعراق، كانت تحوي في القرن العاشر أربعين ألف مجلّد بينما لم تحو أديرة الغرب سوى اثنى عشر كتابا ربطت بالسّلاسل خشية ضياعها»[1]. هذا الشّغف أنتج صناعة الكتب التّي تتطلّب بدورها مئات الألوف من العمّال لكسب عيشهم فأصبح النّسّاخ والخطّاطون، فنّانين مهرة وانتشر منتجو الورق بطواحينهم وتبعهم المجلّدون، ولم ينته الأمر عند هذا الحدّ حسب الكاتبة وإنّما كان يقام سوق للكتب عند بوابة البصرة الّتي كانت تضمّ مئة متجر يقدم إليه المتعلّمون من كلّ أنحاء العالم يفتشون يبحثون، إنّه تنويه وتذكير من الكاتبة بمدى حب وشغف العرب بالكتاب، وتختم الفصل وهكذا أصبحت تجارة الكتب تماما كالصيدلة، هدية قدّمها العرب للبشرية تجارة الكتّاب عجلت بإنشاء المدرسة، والفصل الثامن التّي وضعت الكاتبة واجهته كالتّالي:"شغف يذهب إلى المدرسة" وبدون مقدّمات: « وبنسبة مئوية تفوق 95% من سكّان الغرب في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة».

وهذا عكس العرب، إنّ بعض البلدان العربية مثل: إسبانيا قد جعلت التّعليم مجانيا وقد افتتح الحكم الثاني حوالي عام965م في قرطبة سبعا وعشرين مدرسة لأبناء الفقراء.[2] وهذا تذكير من الكاتبة بأنّ العرب اهتّموا بالتّعليم اهتماما بالغا وكان من أولوياتهم وأنّهم هم من وضعوا ترتيباته الأولى ونظمه، منحة المتعلّم، الدروس الخصوصية النّظام الدّاخلي، لقد قدّمت تلك الجامعات، بدرجاتها العلمية وتقسيمها إلى كليّات واهتمامها بطرق التّدريس للغرب أروع الأمثال، وبعبارة اعتراف

[1]- المصدر السّابق: ص386.
[2]- المصدر نفسه: ص394.

تأتي الكاتبة إلى الفصل التاسع والأخير من هذا الكتاب لتقرّ:«لقد اعترف الجميع للعرب بفضلهم في إيصال أعمال الفلاسفة والعلماء القدماء وآثارهم للعالم الحديث». ثمّ تنتقل إلى سرد العلوم والابتكارات الّتي استطاع العرب أن ينقذوها من الانقراض والزّوال:«إنّ العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزّوال ونظموها ورتبوها ثمّ أهدوها للغرب فحسب،إنّهم مؤسّسو الطرق التّجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلّثات وعلم الاجتماع... فكانت هذه الأعمال والمجهودات المبذولة أغلى هدية يقدّمها العرب للغرب والّتي مهدّت لأوروبا معرفة الأسرار والتّسلّط عليها».[1]

الكتاب السادس: موحد الشرق والغرب.

بتصدير يدعوا إلى الشكر(اشكروا الله واحمدوه إذ أتمّ عليكم نعمته، فإن إتمامها كان معجزة من الله وليس نتيجة الشجاعة أو الحروب. وما أتمه الله لم تسطع قوة من قوى البشر على الأرض إتمامه.) من منشورات فريدريك الثاني في بيت المقدس عام 1228م.

كتاب من ستّة فصول:

1- دولة النورمان حلقة الاتّصال بين عالمين.

2- توحيد الشّعوب المتنازعة.

3- سلطان لوسيرا.

4- لقد بني على أساس عربي.

5- أحاديث عبر الحدود.

6- نظرة جديدة.

[1]- المصدر السّابق: ص399-401.

الفصل الأول"دولة النورمان حلقة الاتّصال بين عالمين" قريب من عنوان الكتاب، تتحدّث فيه الكاتبة عن أثر العرب في صقلية وكيف حوّلوا خرابها ودمارها إلى إعمار وتعمير حضارة بدءاً بزراعة الأشجار إلى تنظيم الأشعار، وتشييد المساجد والقصور، وكيف خرجوا منها عندما هاجم النورمان الجزيرة، فقد وجد النورمان أنفسهم محاطين بجمال وأناقة لم يعرفوها من قبل، فتأثّر النورمان بالمحيط والبيئة، وما كان عليهم سوى أن يستسلموا للسيادة العربية معنويا، وكان من الطبيعي أن يندمج النورمانيون في الحضارة الّتي حاصرتهم من كلّ جانب لأنّهم لا يملكون حضارة ولا حتّى موهبة، لقد اكتسبوا كلّ شيء من العرب. ووصل بهم الحال إلى أن يتطبعوا بطباع العرب، وتنقل الكاتبة إلينا في نفس الفصل نتيجة هذا التّأثير على النورمانيين، ويسير النورمان على ما نادى به الإسلام، وارتفع هذا التّأثير أثناء احتلال الجزيرة. وكان أول من تولّى منصب أدميرال قائدا من قواد السفن النورمانية القدامى، رجل عربي هو عبد الرحمان النّصراني والّذي قاد الأسطول والمشاة، لتذكر لنا رجلا ثانيا تقلّد منصبا هامّا في عهد"روجر" الّذي منحه قيادة مجموعة من السّفن ليتحوّل إلى رئيس الأسطول كليّة فكان نجاح البحرية مرتبطا مرّة أخرى بعوامل تأثيرية حيث كانت إصلاحات وتنظيمات توخّى فيها النّظام العربي.[1]

وتوالت الأحداث التّاريخية وأصبح"روجر" الثّاني أغنى ملك في أوروبا يوم كان أصغر ملوكها، وكان هذا الفصل فرصة للكاتبة لإبراز ما توصّل إليه العرب في علوم الجغرافية، الأرض، الزراعة. وقضى الإدريسي في بالرمو خمسة عشر عاما في إعداد ما عهد به إليه الملك يرسم ويسجّل ويحصي ويعدّ ويدوّن كلّ ما رآه في رحلاته العديدة، ولم يكن الإدريسي وحيدا فقد ازدهر علم الجغرافية عند العرب منذ الأسفار الأولى الّتي قام بها التّاجر سليمان إلى الصين، ضف إلى ذلك الرّحلات العالمية كرحلة ابن بطوطة ليظهر فرع آخر من علوم الجغرافية الطبيعية والجيولوجية.[2]

إنّ جيولوجية ابن سينا تصلح لكلّ زمان ومكان، وللقرن العاشر أو الرّابع عشر للشرق أو الغرب ومع اقتراب نهاية الفصل تعود الكاتبة لتأكّد تأثير العرب، فقد كان الملك يضع كلّ ثقته في العرب

[1]- المصدر السّابق: ص415.
[2]- المصدر نفسه: ص417.

فعملوا عنده كأطباء، إنّه اعتمد عليهم في شؤونه الخاصة فكان طبّاخ قصره عربيا بل لقد كوّن منهم فرقة لحراسته يرأسها عربي، وتختم الفصل بمقتطفات من رحلة ابن جبير لها دلالتها ووقعها.

لتنتقل في الفصل الثاني إلى عنوان"توحيد الشعوب المتنازعة" الذّي خصّصته للحديث عن شخصية تاريخية في تلك الحقبة إنّه فريدريك الثاني الّذي طردته الكنيسة وحكم عليه بالإعدام ممّا دفع به إلى التّوجه نحو بيت المقدس ويتقرب من السلطان الكامل ليستفيد من حكمته وحنكته، إنّ صداقته مع الملوك والأمراء العرب قد حقنت دماء المسيحيين وحفظتها من الهذر من غير مبرّر، واستطاع فريدريك المطرود أن يحقّق نجاحات سلمية تفوق تلك التّي حقّقتها الحروب الصليبية كلّها.[1] وتمضي الكاتبة في الفصل الثالث من هذا الكتاب تتحدّث تبعا للأحداث والوقائع التاريخية عن تربّع فريدريك الثاني ملكا على عرش "لوسيرا" مقدمة في بداية الفصل صفات الملك الجديد وهو الّذي كان بالأمس من المغضوبين عليهم من قبل الكنيسة ذاكرة توجيهاته وتأثّره بالعرب. لقد كان فريدريك متأثّرا بالعصور الوسطى أيضا وإن اختلف عن قرنائه في الغرب بكلّ ما هو عربي.

انطلاقا من هذا التّأثير بنى فريدريك وأسّس دولة أجداده في صقلية وكان هذا الفصل فرصة لإبراز الدّور البطولي الّذي تميز به فريدريك عند احتلال النورمان لصقلية رافضا الاضطهاد، مستغلّا خبرته بالمشرق مستفيدا ممّا ورثه عن طفولته وأسلافه النورمانيين من حب العرب وتقديرهم، هي العوامل الّتي رسمت لفريدريك طريقة في الحياة.

في الفصل الرابع من كتاب موحد الشرق والغرب ركّزت الكاتبة اهتمامات على الجانب العمراني الّذي كان سائدا في عصر فريدريك الثاني، فراحت تصف وتعرض علينا صورا وتصاميم ومساجد وبناءات خلّدت حضارة عريقة مبرزة في نفس الوقت التّوحيد الّذي حصل بين

[1]- المصدر السابق: ص429.

مختلف الحضارات رغم الارتكاز على الأساس العربي: «ولكنّ الأساس الأصيل لفن بناء كلّ تلك القلاع والحصون بقي برغم كلّ هذا عربيّا».[1]

وبما أنّ الحضارة هي من صنع الإنسان فالكاتبة أظهرت لمسة فريدريك واستفادته من العرب ومن أفكارهم في مجال البناء، كما أخذ فريدريك فنّ البناء عن العرب وأدخله على العُمد البيزنطية والرومانية فقد أخذ عنهم كذلك أسس تكوين دولته وتنظيمها.

ولم تفوت الكاتبة الفرصة لتوشّح الفصل بتصميمين هندسيين الأول عربي والثاني غربي لإظهار نقاط الاختلاف والتباين، لم يتوقف فريدريك عند هذا بل كان مولعا بكلّ ما هو عربي. لقد أخذ نظام الضرائب وبيت المال كنموذج وعمل به وهذا ما جنبه إفلاسا كان يحدق بعرشه ولولا إتّباعه لنظام الضرائب العربي لما استطاع أن يحصل على تلك الأموال، ونتج عن هذا النّظام التوصّل إلى فكرة إنشاء شرطة لمراقبة الأعمال التّجارية، وأخرى للشّؤون الصحية للمواطنين وفي نهاية الفصل تقدّم لنا الكاتبة صورة جميلة عن وليسرا كان من الطبيعي أن تصبح لوسيرا أكثر مدينة في أوروبا نظافة.[2]

حلقة أخرى تضيفها الكاتبة إلى عقد فريدريك الثاني وتتمثل في الفصل الخامس" أحاديث عبر الحدود" فتقرب فريدريك من العرب جعله يعيش حياة مليئة حافلة بالنّشاط الفكري خاصة في مجال الترجمة: «قدم فريدريك في دولته نموذجا لمدى ما يمكن أن تحقّقه تلك النّهضة الجديدة من رفاهية وازدهار للشعوب».[3]

لقد تأثّر القيصر بما يدور حوله من طرح فلسفي وفكري وكان شغوفا بتبادل الأفكار والحوار مع الشرق، ولما كان يبحث عن شريك حسب مزاجه لم يجد سوى العالم العربي ويدير وجهه عن الغرب بغية كسب الصداقة والاحترام، بل كانت تولدت لديه رغبة في الانضمام فكريا إلى المدرسة العربية.

[1]- المصدر السّابق: ص440.
[2]- المصدر نفسه: ص447.
[3]- المصدر نفسه: ص448.

ممّا يظهر التّأثير العربي على فريدريك خصوصا وأوروبة عموما، هذا التّأثير جعل فريدريك ينظر إلى العالم بنظرة جديدة وواقعية وهذا ما تطرّقت إليه الكاتبة في الفصل الأخير، فالتّفاعل العربي مع الغرب أنتج احتكاكا فكريا وفلسفيا ونقاشا غيّر النّظرة الأحادية وحوّلها إلى نظرة مشتركة نتج عن ذاك الاحتكاك بين الشرق والغرب نظرة جديدة للعلوم الطبيعية أساسها التجربة والخبرة.[1]

لتنهي الفصل والكتاب معا بأحداث مؤلمة وتزفّ إلينا خبر وفاة فريدريك صديق العرب، «ووفي جبّة راهب بيضاء دثر طريد الكنيسة فقد توفي فريدريك الثاني يوم 13 ديسمبر من عام 1250م في قلعة على الطريق بين فوجيا ولوسيرا وحفل ميتا إلى بالرمو».

الكتاب السابع: عرب الأندلس.

تصدير بقوة اعتراف (وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلوا، كما نجح في هذا محمد، الّذي أخضع العالم كلّه بكلمة التّوحيد) جوتة- الديوان الشرقي الغربي.

كتاب تعرّت فيه الكاتبة إلى أهمّ ما وصلت إليه الحضارة العربية من تقدّم وازدهار على جميع الأصعدة وصمّمت الكتاب في سبعة فصول.

1- أصل سيدات الطبقة الرّاقية.

2- العالم كلّه مسجد كبير بني لي.

3- الحياة على نغمات الموسيقى.

4- زينة الدّنيا.

5- شعب من الشعراء.

6- سلطان الحبّ.

[1]- المصدر السّابق: ص459.

7- دروب التّسرّب إلى الغرب.

افتتاحية الفصل الأول" أصل سيدات الطبقة الرّاقية" أبرزت فيه الكاتبة عادات تعلّمها الغرب من الشرق أي من العرب.

إنّ الحلي الّتي يقدّمها الأوروبي لحبيبته أو لزوجة صديقه أو رئيسه، سواءً كانت ماسا أصليا أو زجاجا مصقولا، هي عادة استوردت من الشرق ويمارسها النّاس كلّ يوم ولا يعرفون لها مصدرا.

ثمّ تبحر بنا في أعماق الموضوع وتقدّم لنا فكرة على أنّ ما يعيشه المجتمع الغربي خاصة الطبقة الراقية.إنّما هو صورة مطابقة مأخوذة من عالم حواء في العصور الماضية، وما الشطحات التّي يحاول أنصار الغرب أن يسوقوها لنا ما هي إلّا نقل أو محاولة تقليد لما سبق، ألم تكن خديجة زوج النبي الأول وسار الرّكب وشاهد النّاس سيدات يدرسن القانون والشّرع ويلقين المحاضرات في المساجد ومع نهاية الفصل تعود لتذكر بأنّ الإسلام شرّف وكرّم المرأة أكثر من غيره، فالإسلام قدّس الزّواج وطالب بالعدل بين الزوجين أو الثلاث أو الأربع في المعاملة ﴿..فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَة.. ﴾[1].في الفصل الثاني" العالم كلّه مسجد بني لي" تركز الكاتبة على ما وصلت إليه حضارة العرب في اسبانيا حتّى أنّها سميّت بالحضارة الأندلسية وهذا نظر لاستقلاليتها واعتبر هذا بمثابة ميلاد حضارة ثانية فقرطبة عرفت حركة جديدة في محال بناء المساجد ونتج عن هذا البناء فنّ العمارة الإسلامية.

وظلّ فنّ البناء العربي على قوّته يصبغ ويشكّل ما وجد في البلاد المفتوحة من فنون ويؤثّر على الفن الجرماني والأوروبي حتّى عصر النّهضة.[2]

ملاحظة أخرى أشارت إليها الكاتبة في هذا الفصل وهي أنّ المساجد في المدن أو الخلاء تشابهت جميعها في الطّراز لتقدّم لنا نموذجا وتصميما «كان الطراز الشّائع هو المسجد يتوسطه صحن

[1]-سورة النّساء، الآية: 3.
[2]- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص480.

مربّع فيه نافورات ماء للوضوء، وتحيط به أبهاء مسقفة تحملها صفوف من العمد تنتهي في اتّجاه القبلة بقاعة كبيرة»، أمّا من حيث الرّسالة فإنّها تكمن في تحرّر المسجد من الأفكار المشاعرية، وكان هدفه بسيطاً واقعيّا فالعالم كلّه مسجد كبير بني لله.

حركة لم تبق حبيسة قرطبة وإنّما زحفت نحو العالم الآخر، نتيجة أيادي الفنّانين العرب إلى التّفنّن في البناء وينتقل هذا الطّراز الإسلامي إلى أوروبة، ولم يقتصر المسجد على أداء الصلاة وإنّما تعدّدت وظائفه بل تعدّته إلى أغراض تخدم الدّين والمجتمع كتعليم الأطفال، والطّلاب ومباشرة أمور القضاء.

نافذة أخرى تفتحها الكاتبة في الفصل الثالث على الحضارة العربية وما عاشته من تطوّر وازدهار فبعنوان "الحياة على نغمات الموسيقى" تلفت الانتباه إلى جانب آخر من حياة العرب في العصر الذّهبي وترسل رسالة مفادها أنّ العرب كان لهم الفضل في إبراز الوجه الفنّي للحياة والمتمثّل في التّرفيه والتّرويح عن النّفس، ففي هذا الفصل تقدّم لنا شخصيات أمثال زرياب التلميذ وإبراهيم الموصلي الأستاذ، كاشفة النّقاب عن مدى تطوّر اللّحن العربي والإيقاع والوزن وكذا الآلة.

«الآلات الوترية ذات القوس: الربابة الربك والطّبول- الطبل، الطبلة الصنوج والنقارة».[1]

وظهر بين العرب صنف طويل من الموسيقى، إنّه لمن دواعي الأسف ألا يترجم من أعمالهم إلّا القليل، لتنسحب من هذا الفصل على أنغام ما توصّل إليه ابن سينا والفارابي في تطوير النّغمة الهرمونية الّتي تأنس لها الآذان:«فكان للعرب بهذا الإنجاز فضل كبير على إلهام الموسيقيين الغربيين كثيرا من ألحانهم».[2]

"زينة الدنيا" وصف يوحي بالجمال والرفاهية أطلقته الكاتبة في هذا الفصل على مدينة عاشت أزهى أيّامها إبّان العصر الذّهبي للحضارة العربية فراحت تتجوّل بنا في ضواحي المدينة الّتي بلغت ثمانية وعشرين ضاحية ومتاجرها المتعدّدة الّتي فاقت الآلاف، والمصابيح المعلّقة على

[1]- المصدر السّابق:ص492.
[2]- المصدر نفسه:ص493.

حيطان المنازل وعربات القمامة الّتي يجرها الثيران لتجعل المدينة نظيفة تعيش في حركية دائمة وتجلب بهذا الجمال إعجاب الزّوار المسيحيين فاستحقّت أن تكون بهذا مدينة قرطبة المدينة الشّابة هي زينة الدنيا، قرطبة شهيرة بجمالها فخورة بقوتها، قرطبة الّتي حوت كلّ شيء تزهو به المدن. لقد قصد النّاس قرطبة من كلّ أنحاء الدّنيا تدفقوا عليها ليتعلّموا فيها كيف لا وقد جعل العرب من كلّ مسجد مدرسة وفي كلّ حيّ دار الكتب في متناول الجميع «أنّ الحكم بلغ الذّروة بما قدّمه للعلم والعلماء، لقد أنشأ على سبيل المثال سبعا وعشرين مدرسة جديدة يتعلّم فيها أبناء الفقراء مجّانا».[1]

"دروب التّسرّب إلى الغرب" عنوان الفصل الأخير من الكتاب وفيه جملة من الشّهادات والحقائق والإثباتات كلّها تشير إلى القنوات والمعابر الّتي تَسَرّبت منها الحضارة العربية لتنتقل إلى الطّرف الآخر وهذا بعد التّأثّر بالنّهضة العربية وصار المسيحيون يتكلّمون العربية ويلبسون اللّباس العربي ويدفعون أموالاً لاقتناء المكتبات، إنّ عادات العرب وألعابهم قد مرّت بين الجيران من المسيحيين، ياللهول لقد نسي المسيحيون حتّى لغتهم.[2]

لقد وصل الحال بملك قشتالة أن يتزوّج بفتاة عربية سعيدة ابنة المعتمدة، وكانت هذه الزّوجة هي الأخرى وسيلة حاملة الكثير من العادات والثّقافة وكان الزواج بين سكان اسبانيا وأهل الأندلس أمر يحدث كلّ يوم لقد تعدّدت المسالك والنّواقل لرموز الحضارة والثّقافة العربية، وقد حمل مشعل الحضارة العربية عبر الأندلس ألوف من الأسرى الأوروبيين عادوا من قرطبة وسرقصطة وغيرها .

كما ساهم سيل الفرسان والتّجار ورجال الدّين المتدفقين سنويا من أوروبة إلى اسبانية في نقل أسس الحضارة الأندلسية إلى بلادهم، وبانتهاء لسيادة العربية على اسبانيا عام 1490م.[3]

لتنتهي بذلك حقبة تاريخية مليئة بالاكتشافات والثّقافة والتّحضّر والتّمدن وكانت الحضارة العربية أعظم حضارة عرفتها أوروبة في القرون الوسطى، وانتهى عصر النّماء والرّخاء والخير العميم وتبقى الجملة الخالدة في ختام الكتاب دالة على حضارة ونهضة العرب، وهكذا اخترقت يدا

[1]- المصدر السابق: ص500.
[2]- المصدر نفسه :ص529
[3]- المصدر نفسه: ص532.

التّعصّب مليونا وخمسة آلاف من المجلّدات هي مجهود العرب في الأندلس وثمرة نهضتهم في ثمانية قرون.

الحواشي: وضع الأستاذ مارون عيسى الخوري حواشي لكل كتاب وذلك تعميما للفائدة وتوضيحا لكل ما هو مبهم واستطاعت هذه الحواشي أن تكون دعما وسندا للكتاب لتلعب بذلك دور المرشد والموجّه، وشملت الحواشي الموضوعة تعريفات وشروحا وتواريخ... اختلف عددها حسب حجم كل كتاب.

كما تضمن الكتاب جدولا بعنوان مقارنة تاريخية بين الغرب والعرب وأهم المحطات التّاريخية الّتي عرفها العالمين العالم العربي والعالم الغربي وهي عبارة عن حقائق تاريخية أو سلّم زمني، وجدول ثاني ثري بالكلمات الألمانية المأخوذة عن العربية أو الفارسية، مع مراعاة التنظيم حسب الحروف الأبجدية نذكر على سبيل المثال منها :

قبة Kuppel كافرKaffer

جملKamel ياسمين[1] Jasmin

وجدول ثالث بأسماء كواكب عربية الأصل.

خاتمة الكتاب:

جعلت الكاتبة خاتمة الكتاب فضاء لطرح العديد من الأسئلة والتّخمينات والافتراضات الصادرة من الحاقدين أو الرّافضين للاعتراف بالحضارة العربية داعية هؤلاء إلى الابتعاد عن التّعصب الدّيني وردّ المظالم إلى أهلها: إنّ مؤرخا بلجيكيا يرى أنّ ما حدث لم يكن نتيجة سوى مع اتّساع رقعة دولة العرب في الأندلس.[2]

فكلّ موجة علم أو معرفة قدمت لأوروبة في ذلك العصر كان مصدرها البلدان الإسلامية.[3]

[1]- المصدر السابق:ص553.
[2]- المصدر نفسه:ص540.
[3]- المصدر نفسه: ص 541.

وتعترف المؤلّفة في آخر كتابها قائلة:«واستيقظ الفكر الأوروبي، على قدوم العلوم والآداب والفنون العرب من سباته الّذي دام قرونا ليصبح أكثر غنى وجمالا وأوفر صحة وسعادة».[1]

وتزين الكتاب ببعض الصور والرسومات اختزلت الزّمن والعصور وأبرزت الأثر وفعلا كانت هذه المادة مثابة متحف ورقي تحرك مشاعر النّاظر إلها وتوقظه من سباته، ليدرك بعدها أنّه كانت هناك حضارة اسمها الحضارة العربية.

فهرس مبوب ومنظم للكتاب كتابة وترقيما، لتضع الكاتبة اللّمسة الأخيرة وتورد اسم كتابها بالألمانية Dr: SIGHRID HUNKE

ALLAS SONNE UBER

DEM ABEDLAND

UNSER ARABISCHES RBE

[1]- المصدر السابق :ص541.

المبحث الثالث: اعترافات ووقائع.

نذكر مجموعة من شهادات المستشرقين المنصفين الّذين نسبوا الحقّ لأهله وأشادوا بعظمة ولريادة الحضارة العربية والإسلامية وإسهامها في رقي الأمم وتقدّمها وبالذات النّهضة الأوروبية، ولم تأتي هذه الشهادات إلّا بعد دراسة موضوعية قائمة على منهج علمي دقيق لتراث المسلمين في مختلف المجالات، وما تقدّمه هنا إنّما غيض من فيض الحضارة العربية الإسلامية، ولكنها تعطينا في مجملها إشارة واضحة على عظمة ما قدّمه المسلمون للبشرية.

شهادة المستشرق الكبير جوستاف لوبون[1]: « يعدّ الطب أهم العلوم الّتي عنى بها العرب، وأتم العرب أعظم اكتشافاتهم في هذه العلوم، وترجمت مؤلفات العرب الطبية في جميع أوروبة، ولم يتلف قسم كبير منها كما أصاب كتبهم الأخرى»[2].

يقول: «وقد أخذت أوروبة من العرب تفاصيل في الزينة، ووجدت على بعض البيع 'الكنائس' في فرنسا صور حروف عربية منحوتة في الحجر، وأكاليل في بعض الحصون تشبه الطراز العربي، وكثير من الكنائس في فرنسا تأثرت بالهندسة العربية، ولا سيما المدن الّتي لها علائق كثيرة مع الشرق، وقد جلب الصليبيون من الشرق أصول بيت المؤذن في المنارات، والمشربيات والمعرقات، والمراصد في الأبراج...واستخدمت فرنسا كثيرا من مهندسي الأجانب، وكان فيهم العرب حتّى إن الكنيسة 'نوتردام ' المشهورة في عاصمة فرنسا عمل فيها مهندسون من العرب. أمّا تأثير العرب في هندسة اسبانيا فظاهر ظهور الشمس والقمر.... »[3] ويقول: « إذا كان بعض مركبات البارود نترات البوتاسيوم قد اخترعها الصينيون واستعملوها، إلّا أنّ المسلمون وحدهم هم الّذين اخترعوا ملح البارود كمادة متفجرة دافعة قابلة لإطلاق القذائف، وعنهم أخذه إنجلترا ثمّ بقية أوروبا »[4].

---

[1]- مستشرق فرنسي ولد عام 1841م، من أشهر كتبه حضارة العرب الّذي يعدّ من أمهات الكتب الّتي صدرت في العصر الحديث في أوروبا لإنصاف الحضارة العربية الإسلامية. توفي عام 1921م.

[2]- د/ راغب السرجاني، قصّة العلوم الطّبية في الحضارة الإسلامية، ص102.

[3]- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النّهضة الأوروبيّة ، ص31.

[4]- المرجع نفسه: ص36.

شهادة سيديو[1] في كتابه تاريخ العرب: « لقد كان العرب يفوقون النّصارى كثيرا في الأخلاق والعلوم والصناعات، وكان من طبائع العرب الكرم والإخلاص والرحمة مما لا تراه عند غيرهم. وكان من طبائعهم النّبل والوقار والعزّة ممّا كان يؤدي الإفراط فيه، إلى المبارزة والشحناء. وكان أفقر المسلمين يحافظ على شرف أسرته كأشد الأمراء صلفا »[2].

يقول سيديو:«والعرب حين زاولوا علم الهيأة عنو عناية خاصة بالعلوم الرياضية كلّها، فكان لهم فيها القدح المعلى، فكانوا أساتذة لنا في هذا المضمار بالحقيقة ».

سيديو:« يؤكّد بأنّ العرب هم الّذين عرفوا الإبرة المغناطيسية، وهم الّذين استعملوها، وأنّ أوروبة هي الّتي نقلت عن العرب ' بيت الإبرة'، ثمّ انتشر هذا العلم في أنحاء المعمورة».

سيديو: « عرفت العرب آلة الظل والمرايا المحرقة بالدوائر، والمرايا المحرقة بالمقطوع، وقطعوا أشواطا كبيرة في الميكانيكيات، ولما بعث 'الرشيد' العباسي إلى 'شارلمان' الساعة الدقاقة الكبيرة، تعجب منها أهل ديوانه ولم يستطيعوا أن يعرفوا كيفية تركيب آلاتها»[3].

شهادة دابر: «وعرفت العرب حجم الأرض بقياس درجة سطحها، وعينوا الكسوف والخسوف ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة،وقدّروا طول السنة وأدركوا الاعتداليين، ولاحظوا أمورا بعثت نورا باهرا على نظام العالم، واختص علماء الفلك منهم باختراع الآلات الفلكية لقياس الوقت بالساعات المتنوعة، وكانوا السباقين إلى استعمال الساعة الرقاصة كذلك»[4].

شهادة جورج سارتون احد ابرز علماء التاريخ في الولايات المتحدة :« لقد سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنساني طوال ألفي سنة على الأقل قبل اليونان، ثمّ

[1]- لويس سيديو1808-1876م، مستشرق فرنسي عكف عن نشر مؤلفات أبيه جان سيديو الّذي توفي 1832م قبل أن تتاح له فرصة إخراج كافة أعماله.
[2]- د/ أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، ط2،1988م.
[3]- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النّهضة الأوروبيّة،ص 32،36.
[4]- المرجع نفسه: ص29.

في العصور الوسطى لقرون عدة، وليس ثمّة ما يمنع هذه الشعوب أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد»[1].

شهادة ألفريد جيوم: « كانت سالرنو بوصفها جامعة طبية، فيها نفوذ عظيم للطب العربي، إن لم يكن تأثيراً ابتداعيّا خلاّقا فهو على أقل تقدير تغدية وإدامة».

يقول: «يسهل على المرء أن يدرك مدى استيعاب اللّغة العربية واتّساعها للتّعبير عن جميع المصطلحات العلمية للعالم القديم بكل يسر وسهولة بوجود التّعدّد في تغيير دلالة استعمال الفعل والاسم »[2].

يقول بلنسر مارتن[3] :«لقد اتّضح من خلال الميادين العلمية الّتي بحثت حتّى الآن الاتّجاه العلمي للعلم الإسلامي، ويتجلّى هذا الاتّجاه أوضح ما يكون في المؤلّفات الّتي وضعها العلماء المسلمون في النّبات والحيوان والمعادن، ففي الحالات الّتي لم توضع فيها كتب النّبات لأغراض لغوية فإنّ المؤلّفات الإسلامية في هذا الميدان كانت ذات طبيعة زراعية أو صيدلانية...[4] ».

هذه الشهادات والاعترافات جاءت لتؤكد مدى تأثر العالم الغربي بالحضارة العربية الإسلامي وخير دليل على ذلك النقل المباشر وبدون إضافات للكثير من الاكتشافات ضف إلى ذلك أن مثل هذه العينات من الشهادات والتي تقف في صف الحضارة العربية قد تكون مفتاحا للفت انتباه مستشرقين آخرين قصد إعادة النظر في المواقف والأحكام المسبقة للحضارة العربية الإسلامية.

[1]- فهمي توفيق مقبل، مآثر العرب المسلمين على الحضارة الأوروبية الفكر الجغرافي نموذجا، ص14.
[2]- مسترق انجليزي، 1888م-1962م.
[3]- مستشرق ألماني.
[4]-- د/ راغب السرجاني، قصّة العلوم الطّبية في الحضارة الإسلامية، ص105.

نستنتج من خلال البحث أنّ الحضارة العربية عرفت تطوراً كبيراً وصلت به إلى القمة بفضل جيل ذهبي آثر العلم إنّ هذه الحضارة كانت شاملة متكاملة في شتّى مجالات الحياة وما تأثير الغرب بها ونقلها إلاّ عربونا ملموسا شاهداً على هذا التقدم وبذلك تكون الحضارة العربية قد أدّت رسالة وحققت غايات سامية استفادت وتستفيد منها البشرية جمعاء، رغم النّكسة الّتي أحلت بها فالحضارة العربية قادرة على التّجديد والانبعاث لأنّها ترتكز على مرجعيات قوية باعتراف المستشرقين أنفسهم وعلى رأسهم المؤلفة زيغريد هونكه الّذي كان كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" عن شهادة توثيق للحضارة العربية وما توصّلت إليه، وأنّ العرب كان لهم الدور الفعّال في حضارة أوروبة، وأنّ الغرب لم يقم سوى بالاستثمار في أبحاث واكتشافات وثقافة العرب، ليتخذها موكبا للتّقدم والازدهار وكان له ما أراد نتيجة اهتمامه بالتركة العربية الثرية بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

ومهما كتبنا فإننا واثقون بأننا بعيدون عن النظرة الحقيقية والدّراسة الصحيحة للكتاب، ولكن حاولنا واجتهدنا فلا شك أننا سنحصل على الأقل على أجر الاجتهاد...

ويبقى بحثنا مجرد نبش في تاريخ مجيد حافل بالنّشاطات الفكرية والاكتشاف والابتكارات ..

وفي الأخير نتمنّى ونأمل أن نكون قد ربحنا مواقع الإصابة على مواقع الخطأ لأنّنا ربما كنا قد غفلنا في مواضع عن ذكر ما كان يجب أن يذكر أولا دخل له بالموضوع.

فما أقبح البخل لمن يقدر على الكمال والتّمام والكمال لله وحده!

والسّلام عليكم.

- ✓ **القرآن الكريم**
- ✓ **السنة النبوية**
- ✓ **أولا: المصادر:**

1- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرّابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، تصدير الترجمة العربية بقلم أحمد أمين، الدار التونسية للنشر- تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر،ط1، 1405هـ / 1986م.

2- أحمد أمين، فجر الإسلام، تقديم عبد المجيد البصير، موفم للنشر– طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية – الجزائر، دط، 1994م.

3- د/ ابراهيم مصطفى– أحمد حسن الزيات- حامد عبد القادر- محمد علي النجار، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللّغة العربية، دار الدّعوة مؤسسة ثقافية للتّأليف والطّباعة والنّشر والتّوزيع– اسطنبول – تركيا، دط، 1410هـ/ 1989م، ج1.

4- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون)، المقدمة (المسمّى ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تح: لونان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ / 2003م.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م، المجلد الأول.

6- الرازي: (الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي)، مختار الصّحاح، ضبطه وصحّحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ/ 1994م.

7- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر/ فاروق بيضون وكمال دسوقي، وضع الحواشي: مارون عيسى الخوري، دار صادر– بيروت ودار الآفاق الجديدة – بيروت، ط10، 1423هـ / 2002م.

8- صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق– بيروت، ط1، 2000م.

9- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار الكتاب اللبناني– بيروت– لبنان، ط1، 1978م، المجلد العاشر.

10- ابن فارس: (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل- بيروت، ط1، 1411هـ / 1991م، المجلد الثاني.

11- ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط1، 1990م، المجلد الرابع.

12- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، (نشأة الحضارة)، ترجمة د/ زكي نجيب محمود، دار الجيل - بيروت، 1988م، ج1.

✓ **ثانيا: المراجع:**

1- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بني نبي وارنولد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م.

2- أبو بكر جابر الجزائري، العلم والعلماء، دار الشهاب للطباعة والنشر عمّار قرفي- باتنة، دط، 1405هـ / 1985م.

3- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر– القاهرة، دط، 1998م.

4- أحمد عبد الرازق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي– القاهرة، ط2، 1417هـ / 1997م.

5- أحمد علي الملّا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر- دمشق، ط1، 1399هـ /1979م، ط2، 1401هـ /1981م.

6- / أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، ط2، 1988م.

7- د/ إبراهيم سليمان عيسى، الحضارة الإسلامية علماء المسلمون وضلهم في علوم الأحياء، دار الكتاب الحديث- القاهرة، دط، 1419هـ / 1999م.

8- إدوارد سعيد، الاستشراق، (المفاهيم الغربية للشرق)، تر/ محمد عناني، جميع الحقوق محفوظة ل: رؤية – القاهرة، ط1، 2006م.

9- د/ حسن جبر، أسّس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، دار الكتاب الحديث، ط2، 1999م.

10- حسن رمضان فحلة، مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، ط1، 1410هـ / 1989م.

11- د/ حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر العبّاسي، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتوزيع- بيروت - لبنان، ط1، 1414هـ/ 1994م.

12- الربعي بن سلامة، الحضارة العربية الإسلامية بين التأثر والتأثير، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، دس.

13- د/ راغب السرجاني، قصّة العلوم الطّبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتّوزيع والتّرجمة- القاهرة، ط1، 1430هـ / 2009م.

14- سعدون محمود الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، دار المناهج للنشر والتوزيع– عمان– الأردن، ط1، 1423هـ /2003م.

15- د/ سلامة صالح النعيمات، نوفان رضا الحمود، نعيم ابراهيم الظاهر، الحضارة العربية الإسلامية، جميع الحقوق محفوظة للناشر هليوبوليس – القاهرة – مصر العربية، دط، 2008-2009م.

16- شايف عكاشة، الحضارة العربية الإسلامية بين التطور والتخلف، ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية بن عكنون- الجزائر، دط، 1994م.

17- الشحات السيد زغلول، الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، دط، 2011م.

18- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبيدة، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية نشأتها في المشرق، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004م،ج1.

19- طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النّهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، نيسان 1975م.

20- عادل الآلوسي، التراث العربي والمستشرقون، دار الفكر العربي– القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2001م.

21- عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النّهضة الأوروبيّة، دار السّلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دط، دس.

22- د/عز الدين فراج، فضل علماء المسلين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، ط1، دس.

23- عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي – القاهرة – مصر، ط1، 1417 / 1997م.

24- د/ عماد الدين خليل، د/ فايز الربيع، الوسيط في الحضارة الإسلامية، دار الحامد للنشر والتوزيع- عمان- الأردن،ط1، 2004م،

25- علي بن عبد الله الدّفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ / 1998م.

26- د/ فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، (القرون الإسلامية الأولى ودراسة مقارنة بين وجهة النظرة الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية)، الأهلية للنشر والتوزيع والمملكة الأردنية الهاشمية- عمان، ط1، 1998م.

27- فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان، ط1، 1430هـ / 2009 م.

28- د/ فهمي توفيق محمد مقبل، مآثر العرب المسلمين على الحضارة الأوروبية الفكر الجغرافي نموذجا، 1430هـ / 2009م.

29- د/ قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، جمادى الأوّل 1403هـ / فبراير 1983م.

30- مالك بن نبي، مالك بن نبي واستشراف المستقبل من شروط النّهضة إلى الميلاد الجديد، بحوث الملتقى الدولي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والآفاق، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م، ج1.

31- محمد حسن محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي- العين- الإمارات العربية المتّحدة، ط1،2001م.

32- محمد الخطيب، تاريخ الحضارة العربية، منشورات دار علاء الدين– دمشق – سورية، ط1، 2001م، 2008م.

33- محمد فاروق أحمد الإمام، معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، تقديم الشيخ منير غضبان، دار المأمون للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، ط1، 1429هـ / 2008م.

34- د/ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع المكتب الإسلامي، دط، دس.

35- موسى عبد اللاوي، الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، دار العلوم للنشر والتوزيع - حي النصر عنابة - الجزائر، دط، 1429هـ / 2008م.

36- لبيب عبد الساتر، الحضارات، دار المشرق– بيروت – لبنان، ط 16، 2003م.

37- يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دط، دس.

✓ **ثالثا: الموسوعات:**

1- د/ أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، (المناهج الإسلامية أصولها الصحيحة- انحرافاتها- وجوب تصحيحها مع مقدمة عامة لموسوعة الحضارة الإسلامية)، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط6، 1989 م، المجلد الأول.

2- د/عبد الرحمن بدوي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت– لبنان، ط1، 1995م، ج1.

3- عبد الله بدوي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ودار الفارس للنشر والتوزيع- عمّان، ط1، ج1.

4- محمود شاكر، موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة، دار أسامة للنشر والتوزيع-عمّان- الأردن، ط1، 2002م، ج1.

5- مصطفى فتحي، موسوعة أعلام الحضارة الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان- الأردن، دط،2001م.

✓ **رابعا: المجلات:**

1- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي مكتب مجلة البيان- الرياض، دط، دس.

2- د/ بكري عبد الكريم، مجلة الحضارة الإسلامية، (دورية أكاديمية تعنى بالفكر والثقافة الإسلامية)، إصدار المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية– وهران، العدد الأول، 1414هـ / 1993م.

مقدمة.....أ
مدخل حول الاستشراق.....3
1/ تعريف الاستشراق.....3
1.1 لغة.....3
1.2/ اصطلاحا.....3
2/ تاريخ ونشأة الاستشراق 4
3/ دوافع الاستشراق.....6
أولا: الدّافع الديني.....6
ثانيا: الدّافع الاستعماري.....7
ثالثا: الدّافع التّجاري والاقتصادي.....7
رابعا: الدّافع العلمي.....7
الفصل الأول : الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها.....9
المبحث الأوّل: تعريف الحضارة العربيّة الإسلاميّة.....10
المطلب الأوّل: الحضارة في اللغة.....10
1- اللّغة العربيّة.....10
2- اللغة الأجنبيّة.....11
المطلب الثاني: الحضارة في الاصطلاح.....12
1- الحضارة عند ابن خلدون.....12
2- الحضارة عند مالك بن نبي.....12
3- الحضارة عند ول ديورانت.....13
4- الحضارة عند علماء الاجتماع.....14
المبحث الثاني: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ومجالات ازدهارها.....16

المطلب الأول: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.....16
المطلب الثّاني: مجالات ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.....23
1/ العلوم الدّينية.....24
2/الأدب.....25
3/ الرياضيات.....27
4/ الطّب.....28
5/الصيدلة.....31
6/ علم النبات والزراعة.....32
7/ الفيزياء والكيمياء.....33
8/ الفلسفة.....34
9/ العلوم الاجتماعية.....36
10/ الفنون.....37
المبحث الثالث : تأثر الغرب بالحضارة العربية الإسلامية ونقلها.....40
1/ الأندلس.....40
2/ صقلية.....41
3/ بلاد الشّام.....41
4/ البعثات العلمية.....42
5/ التجارة.....43
الفصل الثاني : دراسة كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" لزيغريد هونكه.....44
المبحث الأول: التعريف بالكاتبة.....45
المبحث الثاني: دراسة الكتاب.....47
الكتاب الأول: لرفاهية حياتنا اليومية.....49
الكتاب الثاني: العالم والأرقام.....52

الكتاب الثالث: السّماء التّي تظلّلنا.....54
الكتاب الرابع: الأيدي الشّافية.....57
الكتاب الخامس: سلاح المعرفة 62
الكتاب السادس: موحد الشرق والغرب. 66
الكتاب السابع: عرب الأندلس.....70
المبحث الثالث: اعترافات ووقائع. 76
الخاتمة.....79
قائمة المصادر والمراجع.....80
الفهرس 86

ملخص:

عرفت الحضارة العربية الإسلامية تطوّرا ملحوظا وصلت به إلى قمّة بفضل جيل ذهبي من العلماء اتّخذ العلم والمعرفة سلاحا ومستفيدا من التّركة الّتي خلّفتها الحضارات السّابقة وكانت التّرجمة مفتاح السّرّ النّجاحات الّتي حقّقتها الحضارة العربية الإسلامية خاصّة في مجال الطّب والرياضيات والعلوم والأدب والفلسفة والعمارة والفنون، وتجلّت مظاهر وصور الحضارة في الأندلس وقرطبة وغيرها....

في نمط الحياة ورفاهية المجتمع ما جعل الغرب يتأثّر بها وينتقل تلك الاكتشافات والاختراعات والابتكارات والأفكار إلى كافّة أنحاء أوروبا، يكون الغرب أول شاهد على مجد الحضارة العربية الإسلامية وسمي عصرها بالعصر الذّهبي، والتّي لا تزال أثاره في حياتنا إلى يومنا هذا فيحقّ لنا نفتخر ونتساءل في نفس الوقت أين نحن ممّ وصل إليه أسلافنا؟

Résumé :

La civilisation arabo islamique a connut un développement remarquable qu'il la conduit au sommet grâce a une génération dorée des scientifiques qui a prit la science et la connaissance comme arme de recherché la civilisation arabo islamique a benificiee de héritage des civilisations passées et la traduction elle était la clé du secret de cette réussite surtout en médicine mathématiques science littérature philosophie et art l'Andalousie a connut un changement dans le mode de vie de bien être de la communauté qui a fait l'occident influencée et transmettre ces inventassions vers l'Europe l'occident était le premier témoin de la gloire de cette civilisation et que ces effets sont encore dans notre vie à ce jour nous avons le droit d être fiers dans le même temps ou nous avons atteint notre ancêtres ?.

Abstract :

The Arabic civilization of Islam had knew a well developpement, which made it reach the top through a golden age of many knowleagetales, which took knowledge as a weapan and took also what the past civilizations left belwnd them.

The translation was a key of the success that the Arabic civilizations made especially in medicine, mathematics, science, literature architecture and arts, the so well shown in Andalusia ad life style and the establish of the sweaty as a result for this the west got effected bay Arabs and their descovowes, inventions and ideas and moved them to the rest of Europe the means that the west at the first witness of the gloy of the Arabic civilization of Islam it s golden age which its effects still tile new day.

So we have the right to be proud and be asking in same time where we are comparing to our past parent and grand parents?